الجمهورية الجزائرية الدِّيمقراطية الشَّعبية

وزارة التَّعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللُّغات

قسم اللُّغة والأدب العربي

مذكِّرة مقدَّمة لنيل شهادة الماستر في اللُّغة والأدب العربي

تخصُّص: لسانيات عربية

الموضوع:

مسائل خلافية بين الخليل وَيونس في كتاب سيبويه

إعداد الطَّالبة:

خديجة شَهيدي

إشراف الأستاذ:

د/ الجيلالي بوعافية

لجنة المناقشة		
أ.د/	عبد النَّاصر بوعلي	رئيسا
د/	الطَّاهر قطبي	ممتحنا
د/	الجيلالي بوعافية	مشرفا ومقرِّرًا

العام الدِّراسي: 1441هـ-1442هـ/2019م-2020م

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

سورة التَّوبة، الآية 105.

إهداء

إلى من حملتني وهنا على وهن، إلى سندي في الشَّدائد، إلى من كانت دعواها لي بالتَّوفيق تتبعني خطوة خطوة، إلى التي كلُّ كنوز الدُّنيا لا تكفي للتَّعبير عن حبِّي لها، إلى من تحمل أعذب كلمة ينطق بها اللِّسان، قرَّة عيني "أمِّي".

إلى من سعر وشقي لأنعم بالرَّاحة والهناء، إلى الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النَّجاح، إلى الذي علَّمني أن أرتقي سلَّم الحياة بحكمة وصبر، إلى قدوتي في الحياة "أبي".

إلى من ترعرعت معهم وكبرت في كنفهم إخوتي "فتح اللّه، سامية، محمَّد، سفيان"، وفَّقهم اللّه وسدَّد خطاهم.

إلى من قدَّم لي يد المساعدة ولم يبخل عليَّ بالنَّصائح، أقول لهم شكرا جزيلا.

خديجة

شكر وعرفان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ". حديث صحيح.

أحمد الله وأشكره على توفيقه لي بإتمامي هذا العمل المتواضع، فما كان لشيء أن يجري في ملكه إلَّا بمشيئته جلَّ شأنه في علاه.

أتقدَّم بأخلص كلمات الامتنان وأصدق معاني التَّقدير والاحترام إلى الأستاذ المشرف الدُّكتور "الجيلالي بوعافية" الذي منحني الوقت والجهد والاهتمام طيلة مرحلة البحث.

أتقدَّم بالشُّكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة السَّاهرين على تصويب مذكِّرتي وإخراجها بشكل جيِّد إلى ما ينبغي أن تكون عليه، سائلة المولى عزَّ وجلَّ أن ينفعني بتوجيهاتهم وملاحظاتهم واستدراكاتهم السَّديدة.

أتقدَّم كذلك بالشُّكر الخالص إلى كلِّ من ساعدني من قريب أو من بعيد على إتمام هذا البحث.

ولا يسعني في الأخير إلَّا أن أسأل الله الأجر والثَّواب.

خديجة.

مقدمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

من آيات الله في خلقه اختلاف النَّاس في خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ وخصائصهم وألوانهم، ولغاتهم، وطرائق تفكيرهم، وقدراتهم الإدراكية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة هود، الآيات 118-119].

فيجب أن نعلم أنَّ الخلاف من السُّنن الكونية، فالبيئة وطريقة التَّفكير تساعد على تنمية هذا الخلاف بين بني البشر، ولا ينبغي أن ننظر إلى الخلاف أنَّه ظاهرة غير سليمة، بل هو ظاهرة سليمة، ودليل على النُّضوج الفكري والاستقلالية، وعدم الخلاف يحيل إلى الانغلاق وعدم القدرة على الابتكار، كما يجب أن نشير إلى أنَّ الخلاف ليس خاصًّا بالأصول، بل هو متعلِّق بما ينجرُّ عنه من فروع.

فقد ارتبط الخلاف بالدِّراسة النَّحوية واللُّغوية، كما اختصَّ بعدَّة علوم كالتَّفسير والفقه، فهو يبين التَّفكير النَّحوي الذي وصل إليه العلماء، كما أنَّ البحث في موضوع الخلاف ومسائله له أهمية بالغة، ومن أشهر الخلاف الذي ظهر هو الخلاف النَّحوي بين البصريين والكوفيين الذي ذكرته لنا المصادر العربية، لكن هناك خلاف أعمق منه وهو الخلاف الذي ظهر بالمدرسة الواحدة، بين البصري والبصري أو الكوفي والكوفي، فاتَّضحت ملامحه منذ تأليف أوَّل كتاب كبير في النَّحو لإمام النُّحَاة "سيبويه".

وقد ظهر بشكل واضح في مواضع عديدة في كتابه، فقد جمع فيه ما تفرَّق من أقوال من تقدَّمه من العلماء، لكنَّه أكثر الأخذ عن شيخيه "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" وَ "**يونس بن حبيب**"،

وورد اسمهما بشكل واضح في الكتاب، فعلى آرائهما عقد "سيبويه" كثيرا من مسائل الكتاب، فكان الخلاف بينهما في جلِّ أبواب الكتاب، وكان لشخصيتهما أثر بيِّن في الدَّرس النَّحوي.

وممَّا دفعني إلى اختيار الموضوع هو وجود رغبة في نفسي للبحث في موضوع الخلاف النَّحوي، ولا سيما كتاب "سيبويه" الذي يعدُّ كنزا من كنوز العربية، خاصَّة وأنَّنا لا نجد نحويًّا قديما أو حديثا يجاري كتابه أو يدانيه، كما شهد بذلك العلماء، فكان البحث منصبًّا على "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وَ "يونس بن حبيب" وما جرى بينهما من مسائل خلافية لأنَّهما أكثر من روى عنهم "سيبويه" في الكتاب، فعلى هذا الأساس كان اختياري لهذا الموضوع وبالاستعانة بتوجيهات الأستاذ المشرف جزاه الله عنِّي كلَّ خير، فوسمت بحثي هذا بـ: **"مسائل خلافية بين الخليل ويونس في كتاب سيبويه"**، الذي حاولت من خلال فصوله الإجابة على عدَّة تساؤلات، وهي كالتَّالي:

- هل اختلفا في كلِّ المسائل، أم أنَّهما اتَّفقا في مسائل أخرى؟
- هل الخلاف النَّحوي ظهر بشكل مباشر في كتاب "سيبويه" وما هي تداعيات ظهوره؟

وبعد قراءتي الأوَّلية للموضوع تبيَّن أنَّ "الخليل" وَ "يونس" اختلفا في مسائل نحوية وصرفية، ولما كانت دراسة النَّحو والصَّرف دراسة طويلة لأنَّها تضمُّ موضوعات متشعِّبة، اقتصرت في بحثي على مسائل خلافية نحوية وصرفية بين العالمين، لذلك رأيت أنَّ استخراج المسائل الخلافية وتصنيفها إلى مسائل نحوية ومسائل صرفية تسهِّل للباحثين والدَّارسين المهتمِّين بالدَّرس النَّحوي عملية البحث، ولفت عنايتهم إلى الاهتمام بالموروث النَّحوي القديم وأصوله، خاصَّة وأنَّ العالمين تركا أثرا جليًّا في الكتاب، فأردت تقصِّي هذا الأثر، والبحث عن الرَّأي الرَّاجح في تلك الخلافات وذلك بعد الاطِّلاع والوقوف على أدلَّتهم وتمحيصهم.

إنَّ موضوع هذا البحث ليس جديدا في المكتبة العربية، بل سبقتني إليه جهود سابقة، والتي استأنست بها من حيث منهجية التَّناول، وسعيت جاهدة إلى استخراج أهمِّ المسائل والتَّعمُّق فيها، وتصنيفها إلى مسائل نحوية وصرفية، من بين هذه الجهود، نذكر:

- "المسائل الخلافية في النِّسبة والتَّصغير بين الخليل ويونس في كتاب سيبويه" للباحثة "نورية بلغيت"، وهو عبارة عن مقال أوردت فيه الباحثة جانبا من المسائل الصَّرفية، محاولة بذلك إبراز شخصية "يونس بن حبيب" ومقارنتها بآراء "الخليل".
- "الجهود اللُّغوية ليونس بن حبيب في كتاب سيبويه" للباحث "الجيلالي بوعافية"، وهي أطروحة دكتوراه حاول فيها إبراز جهود "يونس" ثمَّ مقارنتها بآراء النُّحَاة وعلى رأسهم "الخليل".
- "منهج سيبويه في التَّلقِّي عن شيخيه الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب" للباحث "محمَّد عطية محمَّد علي"، وهو عبارة عن مقال عرض من خلاله خلاف سيبويه لشيخيه، والخلاف أيضا الذي دار بين "الخليل" وَ "يونس" في بعض المسائل.

اقتضت طبيعة الدِّراسة خطَّة منهجية تضمَّنت مقدِّمة ومدخلا وثلاثة فصول وخاتمة على النَّحو الآتي:

- **المدخل:** أوردت فيه ترجمة للعالمين "يونس بن حبيب" وَ "الخليل بن أحمد الفراهيدي" من حيث مولدهما وجوانب الحياة المختلفة في زمنهما، والعلوم التي اشتهرا بها، وتلاميذهما وتاريخ وفاتهما.
- **الفصل الأوَّل:** دراسة تاريخية، تحدِّد بدايات الخلاف النَّحوي منذ أن نشأ النَّحو إلى أن ظهر الخلاف، وتحلِّل أسبابه كما تبيِّن مظاهره وأثره على الدَّرس النَّحوي.
- **الفصل الثَّاني:** دراسة المسائل الخلافية النَّحوية بين العالمين.
- **الفصل الثَّالث:** دراسة المسائل الخلافية الصَّرفية بين العالمين.

عرضت المسألة مدعِّمة بقول "سيبويه" ثمَّ تفصيل الخلاف بين العالمين، ثمَّ أوردت من تبعهم من النُّحَاة وإيراد حججهم سواء المؤيِّدة لهذا أو ذاك، أو المعارضة لهما، ولم أغفل بذلك آراء "سيبويه"، ولا يغيب دوري كباحثة في مناقشة تلك الآراء مناقشة علمية مع شرح لغوامض النُّصوص وتبيينها ووضع في نهاية كلِّ مسألة بعض النَّتائج الجزئية التي خلصت إليها.

- **خاتمة:** ضمَّت ما توصَّلت إليه من نتائج عامَّة.

واقتضت طبيعة الموضوع أن أتَّبع المنهج التَّاريخي في المدخل والفصل الأوَّل من خلال تتبُّع حياة العالمين، وكذا الوقوف على جذور الخلاف النَّحوي، والمنهج المقارن في الفصل الثَّاني والثَّالث وهو الغالب من خلال موازنة آراء "الخليل" بآراء "يونس"، وتبيين الرَّأي الرَّاجح في كلِّ مسألة، ولم أستبعد المنهج الوصفي بإجراءاته القائمة على التَّحليل كون المسائل النَّحوية والصَّرفية تتطلَّب وصفا وتحليلا.

اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع، تأتي في مقدِّمتها كتاب "سيبويه" الذي يعدُّ المصدر الرَّئيسي المعتمد لهذا البحث، فهو المدوَّنة التي يرتكز عليها هذا البحث، كما اعتمدت أيضا على مجموعة من المصادر كان لها أثر واضح في شرحه، أهمُّها:

- "شرح كتاب سيبويه" لـ: "أبي سعيد السَّيرافي".
- "التَّعليقة على كتاب سيبويه" لـ: "أبي عليٍّ الفارسي".
- "النّكت في تفسير سيبويه" لـ: "أبي الحجَّاج الشَّنْتَمْرِي".

ولم يخل البحث من صعوبات منها:

- أخذ منِّي الكتاب (المحقِّق عبد السَّلام هارون) وقتا لقراءته واستخراج القضايا الخلافية بأجزائه الأربعة، إضافة إلى ذلك صعوبة فهم مسائله أحيانا.
- إنَّ مسائل النَّحو ومسائل الصَّرف متداخلة في الكتاب.

- اختلاف أبواب الكتاب الشَّارحة للكتاب مع أبواب الكتاب، ممَّا يصعِّب عملية البحث في المسألة.

أملي كبير أن يكون هذا البحث إضافة طيِّبة في مجال البحث العلمي، ويكون مرجعا من بعدي في مجال المسائل الخلافية في كتاب "سيبويه".

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلَّا أن أتوجَّه بالشُّكر الجزيل للأستاذ المشرف الدُّكتور "الجيلالي بوعافية" لما أسداه لي طوال رحلة البحث من مشورة ونصح، وإرشاد فجزاه الله عنِّي كلَّ خير، كما أتوجَّه بالشُّكر للأساتذة المناقشين لما سيقدِّمانه لي من توجيهات، من شأنها الارتقاء بهذا البحث إن شاء الله.

الطَّالبة: خديجة شَهيدي.

تلمسان يوم: 03 محرَّم 1442هـ.

الموافق لـ: 21 أوت 2020م.

المدخل:

ترجمة الخليل بن أحمد

الفراهيدي وَيونس بن حبيب

تمهيد:

لا يختلفُ الباحثون في أنَّ "الكتاب" أحد أهمِّ مؤلَّفات اللُّغوي البصري "سيبويه" (ت 180 هـ) ويعتبر أوَّل كتاب منهجي ينسِّقُ ويدوِّنُ قواعد اللُّغة العربية، وهو نقطة البداية لجميع الدِّراسات اللُّغوية العربية، كما أنَّهُ أوَّل كتاب صنِّفَ في النَّحو والصَّرف يصل إلينا ولا يزالُ إلى الآن المصدر الأوَّل لجميع الدِّراسات والبحوث اللُّغوية، وقد سمِّي بـ: "الكتاب" لأنَّ مؤلِّفهُ تركه بلا عنوان، وقد سمَّاه النَّاس قديمًا "قرآن النَّحو"، قال عنه "السَّيرافي": "وكان كتاب "سيبويه" لشهرته وفضله علما عند النَّحويين فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنَّه كتاب "سيبويه" وقرأ نصف الكتاب، ولاشكَّ أنَّه كتاب "سيبويه"".[1]

ويقول "المازني": "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النَّحو بعد كتاب "سيبويه" فليستح".[2]

هذا ما يدعونا للقول بأنَّ كتاب "سيبويه" كان ثمرة نشاط لغوي كونه الأوَّل في تاريخ النَّحو العربي، لذلك قيل لمن يقرأ كتاب سيبويه "ركبتَ البحرَ"، إشارة إلى غناه وعمقه وصعوبته أيضا، وهو بذلك ثمرة لكلِّ نشاط لغوي.

فالمتصفِّحُ لكتاب "سيبويه" يجدُ شخصيات بارزة أسهمت في تطوُّر اللُّغة والنَّحو والصَّرف، من بينها شخصية "يونس" وَ "الخليل" التي تبدو واضحة وأثرها بيِّنٌ في الكتاب؛ حيث نقل عنهما "سيبويه" أبوابا كاملة في النَّحو والصَّرف، وقبل الولوج إلى بحر الموضوع لا بدَّ من ترجمة العالمين ومعرفة جوانب الحياة المختلفة في زمنهما.

[1]- أخبار النَّحويين البصريين، أبي سعيد السَّيرافي، تح: محمد الرَّغبي/محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط 1، 1955م، ص 50.

[2]- بغية الوعَّاة، جلال الدِّين السُّيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، (د ط)، (د ت)، ص 203.

1/ الخليل بن أحمد الفراهيدي:

أ/ اسمه ونسبه:

اتَّفق المؤرِّخون الذين ترجموا لحياة "الخليل بن أحمد الفراهيدي" أنَّ اسمه "عبد الرَّحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي"[1]، وكان "يونس" يقول الفُرهودي مثل فردوس وهو حي من الأزد ولم يسمَّى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاة "الخليل".[2]

ب/ مولده ونشأته:

ولد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" عام 100 هـ بالبصرة وعاش فيها على أرجح الرِّوايات، بما يعرف الآن باسم عمَّان، ثمَّ انتقل إلى البصرة غلاما فشبَّ بها فتلقَّى العلم ودرس، ولذلك يشتهر بلقب البصري.[3]

ج/ أخلاقه وصفاته:

تجمع سائر الأقوال على أنَّ "الخليل" كان ورعًا تقيًّا عفيف النَّفس، وكان لا يقبل العطاء، ولم يقبل أن يكون خادمًا للملوك والأمراء والولَّاة؛ حيث كان طيِّبَ النَّفس صافي السَّريرة، وقورًا عبقريًّا، لا يعادي أحدًا ولم يعارض العلماء في آرائهم حتَّى يقتنع من كلامهم، متسامحًا، ذكيًّا فطنًا، شاعرًا، فهو مخترع علم العروض والقوافي، وأوَّلُ من ضبط اللُّغة وحصر أشعار العرب، وأكمل الأسس التي وضعها النُّحَّاة من "أبي الأسود الدُّؤلي" وهو القائل:[4]

---

[1]- المعاجم العربية موضوعات وألفاظا، فوزي يوسف الهابط، الولاء للنَّشر، القاهرة، ط 1، 1996م، ص 83.

[2]- طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 84.

[3]- ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظ، فوزي يوسف الهابط، ص 83.

[4]- طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 84.

اِعْمَلْ بِعِلْمِي وَلَا تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِي ★★★★★ يَنْفَعُكَ عِلْمِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي.[1]

د/ عبقريته العلمية:

إذا ذكر أحدنا العروض عرف أنَّه "الخليل"، فهو أستاذ مدرستي البصرة والكوفة في النَّحو ومؤسِّسُ علم المعاجم العربية، وقد تخرَّجَ من مدرسته كثير من النَّوابغ، أشهرهم "سيبويه" في النَّحو والذي نقل عنه كثيرا في كتابه، واعتمد عليه اعتمادًا كثيرًا، حتَّى إنَّهُ لم تكن تخلو صفحة من صفحات هذا الكتاب دون أن يشير إلى رأي من آراء "الخليل"[2]، فقد اجتمعت له علوم لم تجتمع لواحد قبله، فلم تقتصر براعته على علوم اللُّغة، ولكن تعدَّتها إلى علم الموسيقى والنَّغم، الذي ألهمه علم العروض وافيا كاملًا وسمِّي أحيانًا علم التَّفعيلة، إذ يعتبر معجم "العين" أوَّل معجم تعرَّف عليه القدماء والمحدثون، وكان هدف "الخليل" منه ضبط اللُّغة وحصرها؛ حيث بدأ بترتيب الحروف، ثمَّ بتقسيم الأبنية، وأخيرًا بتقليب اللَّفظة على أحد أوجهها، هذا إضافة إلى براعته في علم الحساب.

هـ/ آثاره العلمية:

وضع "الخليل بن أحمد الفراهيدي" عددًا من المؤلَّفات في عدد من علوم العربية، منها: كتاب "النَّغم"، وكتاب "النُّقط" وَ "الشَّكل"، وكتاب "الشَّواهد"، وغيرها من الكتب التي سأعرضها بشيء من الإيجاز فيما يأتي:

- **معجم العين:** وهو أوَّل معجم مرتَّب ومنسَّقٌ في اللُّغة العربية، يقوم المعجم في ترتيبه على اعتماد مخارج الحروف.

[1] – شعر الخليل بن أحمد، صنعة حاتم الضَّامن، مطبعة المعارف، بغداد، (د ط)، 1393هـ/1973م، ص 346.

[2] – ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظا، فوزي يوسف الهابط، ص 64.

- **كتاب العروض:** وضعه "الخليل" في بحور الشِّعر العربي وأوزانها، وهو أوَّلُ من فكَّر في وضع هذا العلم، وضع أصوله واخترع أوزانه، قسَّم هذا الكتاب إلى خمس دوائر، وفرَّعهُ إلى خمسة عشر بحرًا وأضاف "الأخفش" بحرًا آخر هو المتدارك أو الخُبب.[1]
- **كتاب معاني الحروف:** قد تناولَ فيه الحروف من جوانبها النَّحوية واللُّغوية بأسلوب عميق، مستشهدًا بذلك بآيات من القرآن، وشواهد شعرية.
- **كتاب الإيقاع:** وهو كتاب تناول فيه مكوِّنات الموسيقى في الثَّقافة العربية وما يقابلهُ من مفهوم في الشِّعر كالوزن.

إضافة إلى كتاب "الجمل"، وكتاب "العوامل"، وبهذا فقد جعل "الخليل" من التَّفكير أساسا لمنهجه العلمي في التَّأليف والتَّصنيف، فقد كان همُّه الأكبر تفسير اللُّغة وحصر موادِّها حصرًا شاملًا كليًّا.

و/ ثناء العلماء عليه:

إحقاقا للحقِّ، وامتنانًا بالفضل، وعرفانًا بالسَّبق، فقد ثنَّ كثير من العلماء على "الخليل بن أحمد" وأنزلوه المكانة اللَّائقة به نذكر منهم:

قال "الواحدي": "الإجماع منعقد على أنَّهُ لم يكن أحد أعلم بالنَّحو من "الخليل""[2]، فهذا دليل على أنَّه إمامٌ من أئمَّة اللُّغة والأدب، وهذا ما أكَّده "ابن النَّديم" بقوله: "كان غاية في استخراج مسائل النَّحو وتصحيح القياس، وهو أوَّلُ من استخرج العروض وحصن به أشعار العرب، وكان من الزُّهَّاد في الدُّنيا المنقطعين إلى العلم، وكان شاعرًا مقلًا".[3]

[1]- الشَّافي في العروض والقوافي، هاشم صلاح منَّاع، دار الفكر العربي، بيروت/لبنان، (د ط)، 2003م، ص 11-12.

[2]- شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، ابن حمَّاد الحنبلي، ج 2، ص 324.

[3]- الفهرست، ابن النَّديم، ص 65.

كما أنَّهُ كان عالمًا يمتاز بالذَّكاء والوقار والتَّواضع، وقد دعَّمَ هذا القول "أيوب بن المتوكِّل": "كان "الخليل" إذا أفاد إنسانًا شيئًا، لم يره أنَّهُ أفاده، وإن استفاد من أحد شيئًا، أراه بأنَّه استفاد منه".[1]

ف: "الخليل" له شأن عظيم في اللُّغة العربية، وتلقَّى العلم على يده العديد من العلماء، منهم "سيبويه"، هذا ما أثبته "ابن قتيبة" في قوله: "كان "الخليل" ذكيًّا، لطيفًا، فطنًا، واتَّفق العلماء على جلالته وفضائله وتقدُّمه في علوم العربية من النَّحو واللُّغة والتَّصريف والعروض، وهو السَّبَّاق إلى ذلك المرجوع فيه إليه، وهو شيخ "سيبويه" إمام أهل العربية، وكان "الخليل" ورعًا".[2]

وبهذا ظلَّ "الفراهيدي" زاهدًا ورعًا، فلا يوجد عالم لغوي اتَّفق المؤرِّخون على نبل أخلاقه وسماحة روحه، فصار حقًّا ابن الأمَّة العربية التي أثَّر فيها فكرًا وأسلوبًا وخُلقًا، وهذا ما برهنه "ياقوت الحموي" فقال: كان "الخليل" أعلم النَّاس وأذكاهم وأفضل النَّاس وأتقاهم، وكانوا يقولون لم يكن في العرب بعد الصَّحابة أذكى من "الخليل بن أحمد" ولا أجمع... وكان "الخليل" أشدَّ النَّاس تعفُّفا.[3]

وقال "الذَّهبي": الإمام صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، البصري أحد الأعلام، وكان رأسًا في لسان العرب دينًا ورعًا، قانعًا متواضعًا كبير الشَّأن.[4]

---

[1]- التَّاريخ الكبير، البخاري، أشرف عليه الدُّكتور محمد عبد المجيد خان، طبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد/الدَّكن، (د ط)، (د ت)، ج 1، ص 324.

[2]- تهذيب الأسماء واللُّغات، النَّووي، تعليق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطِّباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، (د ط)، (د ت)، ج 1، ص 178.

[3]- ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج 3، ص 1260.

[4]- ينظر: سير أعلام النُّبلاء، شمس الدِّين محمد الذَّهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة، (د ط)، (د ت)، ج 7، ص 429-430.

ز/ شيوخه:

أخذ "الخليل" النَّحو عن جلَّة من علماء عصره نخصُّ بالذِّكر منهم:

- **أبو عمرو بن العلاء المازني التَّميمي:** وقد أخذ عنه شيوخ مكَّة والمدينة والكوفة والبصرة، وكان كثير الرِّحلة مع فطنة بالغة، وهو أعلم أهل عصره بالشِّعر وأيَّام العرب، وأقبل عليه طلَّاب العلم من كلّ فجٍّ.
- **عيسى بن عمر الثَّقفي (ت 149هـ):** كان فصيحًا في كلامه، وكان عالمًا ثقةً، وله في النَّحو كتابان هما: "الجامع" وَ "الإكمال"، إضافة إلى "عاصم الأحول"، "غالب القطَّان"، "العوَّام بن حوشب".

ح/ تلامذته:

كانت شخصية "الخليل" محطَّ أنظار طالبي العلم ومريديه، فبرز رجال نقلوا لنا علمه نذكر منهم:

- **الأصمعي:** كان صاحب لغة ونحو وإمامٍ في الأخبار والنَّوادر والغرائب، وهو حافظ جيِّدٌ ولديه قدرة على الإلقاء.
- **سيبويه:** هو شيخ النُّحَاة في عصره، ويعدُّ بلا منازع إمام البصريين.
- **النَّضر بن شميل (ت 203 هـ):** أخذ عن "الخليل بن أحمد" ولازمه مدَّة طويلة.
- **المؤرِّج السُّدوسي (ت 195 هـ):** عالم العربية والحديث والأنساب، وكان من العلماء المشهود لهم بالثِّقة والدِّراية في علوم العربية.
- **علي بن نصر الجهضمي (ت 250 هـ):** عالم في اللُّغة وله آراء وردود في مسائل اللُّغة.

ط/ وفاته:

توفِّي "الخليل بن أحمد" رحمه الله سنة سبعين ومائة، وقالوا سنة خمس وسبعين، وهو ابن أربع وسبعين سنة[1]، فـ: "الخليل" كان منهمكا طول حياته بالعلم والابتكار لا بالتَّقليد، حتَّى آخر لحظة من حياته، وتقول بعض المصادر أنَّهُ دخل المسجد وهو يعمل فكره في ابتكار طريقة في الحساب للتَّسهيل على العامَّة، لكنَّه انتقل إلى جوار ربِّه.[2]

2/ يونس بن حبيب:

أ/ اسمه وكنيته ونسبه:

لقد اطَّلعت على كتب عديدة ومقالات تخصُّ حياة "يونس بن حبيب" فوجدت أنَّهم اتَّفقوا على أنَّ اسمه "يونس بن حبيب" وكنيته "أبو عبد الرّحمن النَّحوي الضَّبِّيّ"[3]، قال: "ياقوت الحموي" (ت 622 هـ): "الضَّبِّيّ وقيل اللَّيثي بالولاء"[4]، فإذا تكلَّمنا عن نسبه فنجد جميع من أرَّخَ لـ: "يونس بن حبيب" يثبت أنَّهُ مولى بن ضبية، ولكنَّهم اختلفوا فيمن ارتبط به بالولاء، وهذا ما لمسناهُ في قول: "ابن خلِّكان": "قال "أبو عبد الله المزرباني" في كتابه "المقتبس في أخبار النَّحويين" هو مولى ضبية، وقيل هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد كنانة، وقيل مولى بلال بن هرمي بن بني ضبيعة بن بجالة".[5]

---

[1]- ينظر: طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 52.

[2]- ينظر: الشَّافي في العروض والقوافي، هاشم صالح منَّاع، ص 11.

[3]- مراتب النَّحويين، أبو الطيِّب عبد الواحد الحلبي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النَّهضة العربية، القاهرة، ط 2، 1974م، ص 21.

[4]- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عبَّاس، دار العرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1993م، ص 2851.

[5]- وفيات الأعيان، أبو العبَّاس شهاب الدِّين بن خلِّكان، تح: إحسان عبَّاس، دار صادر، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج 7، ص 244.

والذي لا خلاف فيه أنَّ "يونس" فارسي الأصل، فولاؤه إلى بني ضبية هو الذي عرف به واقترن باسمه عند أغلب الدَّارسين والمترجمين.

ب/ مولده ومؤلَّفاته:

اختلف المؤرِّخون في تاريخ ميلاد "يونس بن حبيب" اختلافا شديدًا، قال "ابن خلِّكان" (ت 681 هـ): "مولده سنة تسعين، وقيل مولده سنة ثمانين".[1]

وقد اعتمد "السُّيوطي"[2] التَّاريخ الأوَّل وَ "ياقوت" الثَّاني.[3]

وما اتَّفق عليه أنَّه ولد ببلدة جَبُّل (بفتح الجيم وتشديد الباء وضمِّها) وهي بلدة على دجلة بين بغداد وواسط[4]، وكان "يونس" متمسِّكا بها، فلقيه رجل من بني أبي عمير، فقال له: يا "أبا عبد الرَّحمن" ما تقول في جَبُّل أتتصرَّف أم لا، فشمته "يونس" فالتفت "العميري" فلم ير أحدا يشهده عليه حتَّى كان من الغد وجلس للنَّاس أتاه "العميري" فقال: يا "أبا عبد الرَّحمن" ما تقول في جَبُّل أتصرف أم لا ؟ فقال: "يونس": الجواب ما قلته لك أمس.[5]

فهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على تعلُّق "يونس" لوطنه وحبِّه له، وبما أنَّ حبَّ الوطن غريزةٌ متأصِّلةٌ في النُّفوس جُبل الإنسان عليها، فهذا ما يجعلهُ يدافع عنه، وهذا بيِّنٌ من خلال كلامه وتلفُّظه بكلمات قاسية.

---

[1]- المصدر السَّابق، الصَّفحة السَّابقة.

[2]- بغية الوعَّاة في طبقات اللُّغويين والنُّحَّاة، جلال الدِّين السُّيوطي، ج 2، ص 365.

[3]- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج 6، ص 2852.

[4]- طبقات النَّحويين واللُّغويين، أبو بكر الزَّبيدي الأندلسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط 2، 1973م، ص 51.

[5]- وفيات الأعيان، ابن خلِّكان، ص 247.

أمَّا عن وفاته، قد اختلفوا في تحديدها والمدَّة التي عاشها فمن قائل توفِّي 182 هـ ومن قائل إنَّهُ توفِّي بعدها ومن قائل إنَّه توفِّي قبلها بعام، وقد دعَّم هذه الفكرة "ابن الجزري" في قوله: "توفِّي بعد اثنتين وثمانين ومائة وقال "القاضي" سنة خمس وثمانين ومائة وله ثمان وثمانون سنة وقيل قارب المائة وقيل جاوزها".[1]

وذكر الوزير "جمال الدِّين القفطي" ما يلي: "قال "محمد بن إسحاق النَّديم" قرأت بخطِّ "عبد الله بن مقلة": قال: "أبو العبَّاس ثعلب": جاوز "يونس" مائة وقد تفرَّغ من الكبر ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة ومن خطِّ "إبراهيم الموصلي": عاش "يونس" ثمانينا وثمانين سنة".[2]

وقال "السُّيوطي": "قارب "يونس" تسعين سنة ولم يتزوَّج ولم يتسرَّ ومولده كان سنة 90 هـ".[3]

نتبيَّن من هذه الأقوال أنَّ "يونس بن حبيب" أخلص حياته كلَّها للعلم حتَّى وصل إلى درجة عالية فيه جعلته عالما من أعلام البصرة، ولم يكن له همَّة إلَّا طلب العلم، ممَّا يدلُّ على عظمة هذا الرَّجل، حتَّى أنَّه قال: "علمك من روحك ومالك بين بدنك".[4]

[1]- غاية النِّهاية في طبقات القرَّاء، ابن الجزري، تح: براجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، (د ط)، 2006م، ص 352.

[2]- أنباء الرُّوَّاة، جمال الدِّين يوسف القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1403هـ/1986م، ج 4، ص 74.

[3]- بغية الوعَّاة في طبقات اللُّغويين والنُّحَّاة، السُّيوطي، ص 365.

[4]- أنباء الرُّوَّاة، القفطي، ج 4، ص 74.

ج/ نشأته:

لا يذكر العلماء أين طلب العلم ومتى انتقل إلى البصرة، لكن الذي قيل أو ذكر أنَّهُ أخلص للعلم، وطلبه في كلِّ مكان، يقول "يونس بن حبيب": "أوَّل من تعلَّمت منه النَّحو "حمَّاد بن سلمة"".[1]

ثمَّ ازدادت معارفه ونمت عقليته، فاستوعب ثقافة عصره حتَّى صعد إلى قمَّتها فكان له حلقة يفدُ إليها رجالات الفكر والعلم[2]، وأقبل "يونس" على العلم عامَّة والعربية خاصَّة وعدَّه علم ضروري لكلّ رجل ويجب أن يحسنه ويتعلَّمه كلّ أحد، حتَّى أنَّه نسي كلّ شيء إلَّا العلم فكان أوَّل من ينسى طعامه وشرابه قال: "ما أكلتُ في شتاء شيئا قطُّ إلَّا وقد برد، ولا أكلت في صيف شيئا إلَّا وقد سخن".[3]

ونصل من هذه الرِّواية إلى أنَّ "يونس" أخلص حياته كلَّها للعلم حتَّى صارت له حلقة مشهودة بالبصرة، حتَّى قيل: "كانت حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلَّاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية"[4]، فكان يبذل العلم ولا يكتمه قطُّ، قال فيه "أبو زيد": "ما رأيت أبذل العلم من "يونس"".[5]

[1]- طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 51.

[2]- الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، عبد العال سالم مكرم، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط 2، 1413هـ/1979م، ص 271.

[3]- يونس بن حبيب، حسين نصَّار، مكتبة الثَّقافة الدِّينية، ط 1، 2002م، ص 21.

[4]- الفهرست، ابن النَّديم، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، 1997م، ج 1، ص 62.

[5]- أنباء الرُّوَّاة، القفطي، ج 4، ص 74.

وقال فيه "ياقوت الحموي": "إمام نحَّاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنَّحويين في المشكلات"[1]، حتَّى إنَّهُ صار مضرب المثل عند بعض الشُّعراء، من ذلك قول "ابن طباطبا" في هجاء "أبي علي الرُّستمي":[2]

لَوْ كُنْتَ يُونُسَ فِي دَوَائِرِ نَحْوِهِ ★★★★★ أَوْ كُنْتَ قُطْرُبَ فِي الغَرِيبِ المشَكَّلِ.

وَحَوَيْتَ فِقْهَ أَبِي حَنِيفَةَ كُلُّهُ ★★★★★ ثُمَّ انْتَمَيْتَ لِرُسْتُمَ لَمْ تَنْبُلِ.

د/ أخلاقه ومذهبه:

قد سلفني الذِّكرُ وذكرتُ أنَّ "يونس بن حبيب" بلغ مكانة عالية في العلم لما كان عليه من إخلاص في العلم وأمانة وصدق في النَّقل، قال "أبو الخطاب زياد بن يحي": قال "أبو عبيدة": "لم يكن عند "يونس" علم إلَّا ما رآه بعينه"[3]، فهذا القول يدلُّ على أمانته العلمية التي ينبغي التَّحلِّي بها، والتي يجب أن لا يستغني عنها أيّ باحث أو ناقد، كما أنَّهُ وصف بالذَّكاء والفطنة، فقد قال بعض الأعراب لـ: "يونس": "قضيت لك بالفقه أي بالفطنة".[4]

وذكر "السَّيرافي" في أنَّ "يونس" قال: "ثلاثة والله أشتهي أن أَمْكُنُ من مناظرتهم يوم القيامة: "آدم" عليه السَّلام فأقول له قد مكَّنك الله من الجنَّة وحرَّم عليك شجرة فقصدت لها حتَّى التقينا في هذا المكروه، وَ "يوسف" عليه السَّلام أقول له: كنت بمصر وأبوك عليه السَّلام بكنعان بيدك وبينه عشر مراحل يبكي عليك لم ترسل إليه، أنِّي في عافية وتنجيه ممَّا كان فيه من الحزن، وَ "طلحة"

[1]- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج 6، ص 2851.

[2]- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثَّعالبي، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1965م، ج 1، ص 170.

[3]- شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، ابن عماد الحنبلي، تح: محمود الأرنأوطي، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1986م، ج 2، ص 372.

[4]- الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، عبد العالم سالم مكرم، ص 295.

وَ "الزُّبير" رضي الله عنهم، أقول لهما: "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه بايعتماه في المدينة وخلعتماه بالعراق لم ؟ أيّ شيء حدث".[1]

فهذا يدلُّ على أنَّ "يونس" ذا فكر ناقد، فبلاغته قادته إلى مناظرة الأنبياء والصَّحابة، لو أتيح له ذلك، ممَّا يدلُّ على جرأته وفطنته وتمكُّنه من اللُّغة.

كما كان يقدِّرُ تلامذته ويمدحهم، ومن تلامذته الذين ظفروا منه بالتَّقدير والمدح "سيبويه"، قال: "الفرَّاء" (ت 207 هـ): "دخلت البصرة فلقيت "يونس" وأصحابه فسمعتهم يذكرونه أي "سيبويه" بالحفظ والدِّراية وحسن الفطنة".[2]

ج- علمه وثقافته:

عاش "يونس بن حبيب" عمرًا طويلا، كان فيه شغوفًا بطلب العلم، والأخذ من منابعه الأصيلة، فقد عاصر أكابر علماء اللُّغة، والحديث، والقراءة، فأخذ اللُّغة والرِّواية عن "أبي عمرو بن العلاء" وَ "الأخفش الأكبر"*، حتَّى وصل إلى مرتبة عالية من العلم جعلته يتبوَّأُ مكانة كبيرة في البصرة فاتَّسمت شخصيته بأنَّها جمعت بين اللُّغة والنَّحو، أمَّا عن اللُّغة فقد كان بارعا في فهم غريبها ومعرفة اشتقاقها، وأمَّا عن النَّحو فإنَّه يتَّضحُ من خلال نظراته الدَّقيقة، ودراسته في فهم التَّركيب النَّحوي للجملة ومعرفة الظَّواهر الإعرابية، وأشاد "المبرِّد" (ت 904 هـ) بعلمه وتفوُّقه على "أبي زيد"* في

[1]- أخبار النَّحويين البصريين، أبو سعيد السَّيرافي، ص 29-30.

[2]- الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، عبد العال سالم مكرم، ص 275.

*- هو عبد الحميد بن عبد المجيد (ت 117 هـ) مولى قيس بن ثعلبة، أبو الخطَّاب من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب، وأخذ عنهم، وهو أحد شيوخ سيبويه، وأبا عبيدة، وأبا زيد الأنصاري، والأصمعي في اللُّغة.

*- هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (119 هـ/215 هـ) أحد أئمَّة الأدب واللُّغة، من أهل البصرة، غلب عليه اللُّغات والنَّوادر والغريب، وكان ثقة في روايته.

النَّحو ومظاهاته له في اللُّغة فقال: "كان "أبو زيد" عالما في النَّحو ولم يكن مثل "الخليل" وَ "سيبويه"، وكان "يونس" من باب "أبي زيد" في العلم باللُّغات وكان "يونس" أعلم من "أبي زيد" في النَّحو".[1]

فمن خلال كتاب "سيبويه" سنكتشف شخصية "يونس" النَّحوي وثقافته الواسعة، فقد ألمَّ بعلوم كثيرة منها:

- **علم الأنساب:** كان يضرب به المثل في تمكُّنه منه، قال: "الجاحظ" في حديثه عن الحمام: "ووصف الهذيل "المازني" متن "ابن زهير" وحفظه لأنساب الحمام فقال: "والله لهو أنسب من "سعيد بن المسيِّب" وَ "قتادة بن دعامة" للنَّاس، بل هو أنسب من "أبي بكر الصدّيق" رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجل أعرف بالأمَّهات المنجبات من "سحيم بن حفص"، وأعرف بما محلّها من الهجنة والأقران من "يونس بن حبيب"".[2]
- **التَّفسير:** برع "يونس" في تفسير آيات القرآن الكريم –بين المفسِّرين– وقد ألَّفَ كتابا أسماهُ "معان القرآن" منها: تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.[3]

فيقول "يونس": "إنَّ وأمرنا بمعنى أكثرنا وإنَّ العرب تقول: خير المال نخلة مأبورة ومهرة مأمورة"، أي كثيرة الولد والنِّتاج، ومنها توجيهه قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾.[4]

---

[1]– ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص 2852.

[2]– الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت/لبنان، (د ط)، 1416هـ، ج 5، ص 333.

[3]– سورة الإسراء، الآية 16.

[4]– سورة الشُّعراء، الآية 4.

إنَّ الأعناق جاءت في موضع (هم) وحكى "أبو عمرو الجرمي"، قال: "رأيت النَّحوي، مرَّ بحلقة المسجد فقام إليه رجل يسأله عن قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾.[1] فقال بيده: التَّنَاوُشُ التَّنَاوُلُ.

- **الشِّعر**: كان "يونس" عالمًا بالشِّعر راويا له، يميِّزُ جيِّده من رديئه، وكان يرجع إليه الشُّعراء عند خلافهم، قال: "أبو عبيدة معمر المثنَّى": قدم عليه "جعفر بن العبَّاس" من عند الخليفة "المهدي" وقال له: أنا وأمير المؤمنين اختلفنا في هذا البيت:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ ★★★★★ لَيْلٌ يُصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُ.

فما اللَّيل والنَّهار ؟ فقال "يونس": "اللَّيلُ، اللَّيلُ الذي تعرف، والنَّهارُ، النَّهارُ الذي تعرف"، فقال "جعفر": "زعم "المهدي" أنَّ اللَّيل فرخ الكروان، والنَّهار فرخ الحبارى" فقال: "أبو عبيدة" في البيت: ما قاله "يونس": "والذي قاله لـ: "مهدي معروف" في الغريب من اللُّغة".[2]

كما أنَّهُ كان يسمع الشِّعر ويفهمه ويتذوَّقه ويصدر بعض الأحكام فيه، قال "ابن سلَّام": "أخبرني "يونس" كالمتعجِّب أنَّ "ابن أبي إسحاق" كان يقول أشعر أهل الجاهليَّة مرقِّش وأشعر أهل الإسلام كثير ولم يقبل هذا القول ولم يشيَّع".[3]

د/ شيوخه:

لقد صاحب يونس بن حبيب شيوخًا ثقة ساهموا في بنائه الفكري والعلمي، ومن الشُّيوخ الذي أخذ عنهم ما ذكرت الكتب.

[1]- سورة سبأ، الآية 52.

[2]- وفيات الأعيان، ابن خلِّكان، ص 247.

[3]- طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحي، تح: محمود شاكر، دار المدني، جدَّة، (د ط)، (د ت)، ج 1، ص 52.

- **حمَّاد بن سلمة (ت 168 هـ)**: يعدُّ أوَّل من تعلَّم على يده "يونس" علم النَّحو، سُئل "يونس" أيُّكما أسنُّ، أنت أو "حمَّاد" ؟ فقال: "حمَّاد"، ومنه تعلَّمتُ العربية.[1]

فهذه الرِّواية تناقلتها كتب المؤرِّخين تدلُّ على أنَّ "يونس" أخذ عنه علم العربية، وهو أحد شيوخ "سيبويه" أيضا، فكان يضرب بـ: "حمَّاد بن سلمة" المثل في الفصاحة، فقد تحدَّث عنه "الجرمي" قال: "ما رأيت فقيها قطُّ أفصح من "عبد الوارث" وكان "حمَّاد بن سلمة" أفصح منه".[2]

- **عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ)**: ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ "يونس" تتلمذ على "علي بن أبي إسحاق"، وهناك نصوص تؤيِّدُ هذا: أورد "ابن سلَّام" رواية: قلت لـ: "يونس": "هل سمعت من "ابن أبي إسحاق" شيئا ؟ قال: فقلت له: هل يقول أحد: الصُّويق... يعني السُّويق قال نعم "عمرو بن تميم" تقول وما تريد إلى هذا عليك في النَّحو يطرد وينقاس"[3]، فكأنَّما ينهاه عن السَّماع، وقال: "ابن سلَّام": "سمعت أبي يسأل "يونس" عن "ابن اسحاق" وعلمه، فقال: هو والنَّحو سواء، أي هو الغاية، قال فأين علمه من علم النَّاس اليوم ؟ قال: لو كان في النَّاس اليوم من لا يعلم إلَّا علمه يومئذ لضحك به ولو كان فيهم أحد له ذهنه ونفذه، ونظر نظرهم، كان أعلم النَّاس"،[4] فهذا يدلُّ على أنَّهُ ناقد الذَّكاء، وكان أعظم علماء عهده في النَّحو.
- **أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ)**: استفاد "يونس بن حبيب" من شيخه "أبي عمرو" علمًا كثيرًا، ومعرفة غزيرة، وكان يثق فيه كلَّ الثِّقة وكانت أكثر رواياته عنه،

[1]- ينظر: أخبار النَّحويين البصريين، أبو سعيد السَّيرافي، ص 35.

[2]- الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، عبد العال سالم مكرم، ص 278.

[3]- طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 32.

[4]- طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحي، ص 15. وينظر: أخبار النَّحويين البصريين، السَّيرافي، ص 21، ونزهة الأنباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص 27.

ويقول "يونس" فيه: "والله لو قسِّم علم "أبي عمرو" وزهده على مائة إنسان لكانوا كلّهم علماء زهَّادًا، والله لو رآه رسول الله لسرَّه ما هو عليه".[1]

فكان تلميذًا مخلصًا لشيخه ومدافعًا عنه، ومن آثار ثقته بشيخه ودفاعه عنه دون تعصُّب أو انحياز ما رواهُ "السُّيوطي" أنَّهُ قال "محمد بن سلَّام الجمحي"، قلت لـ: "يونس بن حبيب": إنَّ "عيسى بن عمر" قال: صحَّف "أبو عمرو بن العلاء" في الحديث: "اتَّقوا على أولادكم فحمة العشاء"، فقال: "بالفاء، وإنَّما هي بالقاف، فقال: "عيسى" الذي صحَّف ليس "أبا عمرو"، وهي بالفاء كما قال "أبو عمرو" ولا بالقاف كما قال "عيسى""[2]، فلم يكن "يونس" تلميذًا فقط لـ: "أبي عمرو"، بل كان صديقًا مدافعًا عنه، فمكانة "أبي عمرو" عند "يونس" مكانة عالية لا تحتاج إلى مثال للتَّدليل.

- **رؤبة بن العجَّاج (ت 145هـ):** كانت علاقة "يونس" بـ: "رؤبة بن العجَّاج" علاقة علمية وطيدة وقويَّة تقوم على الحبِّ والإخلاص، فقد كان "يونس" يدافع عنه، ويتجاوز القدر في ضبط نفسه وكضم غيظه عن الدِّفاع عنه طيلة حياته وروى عنه كثيرًا منها:

روى عنه في إعراب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ٢٦﴾[3]، أنَّها على رفع بعوضة وقال أنَّ تميمًا يعملون آخر الفعلين وآخر الأداتين وأنشد قول "النَّابغة": (البحر البسيط)

قَالَتْ أَلَا لَيْتُمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا ★★★★★ إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ.[4]

[1]- غاية النِّهاية في طبقات القرَّاء، ابن الجزري، ج 1، ص 392.

[2]- المزهر في علوم اللُّغة، السُّيوطي، تح: علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 1418هـ، ج 2، ص 309.

[3]- سورة البقرة، الآية 26.

[4]- ديوان النَّابغة الذُّبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2، (د ت)، ص 24.

ومعنى البيت أنَّ "زرقاء اليمامة" نظرت إلى سرب من الحمام فرأت أنَّ عدده ستٌّ وستُّون فقالت: هذا الحمام ونصفه وحمامتنا يصبح عدده مئة، ومعنى (فَقَدِ) يكفي، وَ "زرقاء اليمامة" ضرب بها "يونس" المثل في الحكمة والقدرة على تمييز الصَّواب.

وأسئلة "يونس" كثرت وتعدَّدت، ممَّا جعل "رؤبة" يضيق به ذرعًا، قال: قال لي "رؤبة بن العجَّاج": حتَّام تسألني عن هذه البواطيل وأزخرفها لك: أما ترى الشَّيبَ قد بلغ في لحيتك ؟[1]، فهذا يدلُّ على أنَّ "يونس" لم يدع الطَّلب للتَّعلُّم مبكِّرًا بل كان طالبا للعلم والمعرفة.

والمصدر الثَّاني لثقافة وعلم "يونس بن حبيب"، هم فصحاء العرب لما تميَّزوا به من بداهة عجيبة، كما قيل فيهم: "فكلامهم السَّبكُ الحسنُ، والدِّيباجة الكريمةُ، والرَّونق العجيب، والبهاء الجمُّ، والطَّابع الفصيح، ولهم أصناف البلاغة قصيدًا، ورجزًا وخطبًا، ومنثورًا وسجعًا"،[2] فقد أخذ "يونس" من الأعراب قوَّة في اللُّغة ومكنة في البلاغة أسهمت في بناء شخصيته النَّحوية واللُّغوية ومنهم:

- **أبو مهدية:** من الأعراب الثِّقات الذين روى عنهم "يونس بن حبيب"، وقد تميَّزَ عن غيره من الأعراب الفصحاء أنَّهُ كان يتمتَّعُ بمقدار كبير من الذَّكاء والفصاحة وحسن التَّصرُّف، ومن أمثلة ما يروى عنه حول مسألة (ليس الطيِّب إلَّا المسك) وكان "أبو مهدية" طرفا في هذه القضية يمثِّل لهجة الحجازيين وينصب خبر ليس.[3]
- **أبو الدَّقيش:** يفسِّر "أبو عبيدة" هذه الكلمة فيقول: "الدَّقشة، دويبة رقطاء أصغر من القطاة، قال: والدَّقيش شبيه بالنَّقش"[4]، فالدَّقش هو النَّقش وَ "أبو الدَّقيش" كنية اسمه الدَّقش، وقد لفت اسمه نظر "يونس بن حبيب" فسأله قائلًا: "سألت "أبا الدَّقيش": ما

[1]- ينظر: أخبار النَّحويين البصريين، أبو سعيد السَّيرافي، ص 28.

[2]- ينظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، عبد العال سالم مكرم، ص 276.

[3]- الأعراب الرُّوَّاة، عبد الحميد الشَّلقاني، منشورات المنشأة العامَّة للنَّشر، ليبيا، ط 2، 1982م، ص 235-236.

[4]- المزهر في علوم اللُّغة، السُّيوطي، ج 2، ص 272.

الدَّقيش ؟ قال: لا أدري، إنَّما هي أسماء سمعتها، فسمِّي بها".[1] فكان من الأعراب الفصحاء الذين أخذ عنهم "يونس" وصفه "أبو الطيِّب" بأنَّه كان أفصح النَّاس.

- **أبو علي الأسواري:** أفاض "الجاحظ" في الثَّناء عليه ووصفه بالفصاحة قائلًا: "كان "يونس بن حبيب" يسمع منه كلام العرب ويحتجُّ به".[2]

يتَّضحُ لنا أنَّ علاقة "يونس" مع هؤلاء الأعراب علاقة وطيدة تقوم على الاحتكاك في طلب العلم، فكان يثق فيهم ويأخذ عنهم لأنَّهُ لم يكن له من هم سوى التَّحصيل العلمي وطلب المعرفة في كلِّ مكان.

هـ/ حلقة يونس بن حبيب العلمية:

لقد كانت حلقة "يونس بن حبيب" أشهر الحلقات العلمية بالبصرة، فليس غريبًا أن يلتفَّ حوله خلق كثير كما ذكرت ذلك الكتب، وخاصَّة إذا وضعنا نصب أعيننا قول "أبا زيد": "ما رأيت أبذل لعلم من "يونس""[3]، إذ يقول "حسين نصَّار": "لست أستطيع أن أحدِّدَ مبدأ هذه الحلقة ولكنِّي عثرت على خبر يدلُّ على أنَّها كانت قائمة قبل وفاة "الخليل"، قال "النَّضر بن شميل": "جاء رجل من حلقة "يونس" فسأل "الخليل" عن شيء، ولما انتقل "الخليل" إلى جوار ربِّه انفرط عقد حلقته، وانخرط كثير من أفرادها في حلقة "يونس" أو ثبتوا فيها بعد أن كانوا يتردَّدون بينها وبين حلقة "الخليل"".[4]

[1]- الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، عبد العال سالم مكرم، ص 289.

[2]- البيان والتَّبيين، أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1998م، ج 1، ص 369.

[3]- يونس بن حبيب، حسين نصَّار، ص 34.

[4]- المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

نفهم من هذا القول أنَّه شغل المكان الشَّاغر في حلقة "الخليل" وقد طال عمر هذه الحلقة بطول عمر صاحبها، قال "أبو زيد الأنصاري": "جلست إلى "يونس بن حبيب" عشر سنين وجلس إليه قبلي "خلف الأحمر" عشرين سنة".[1]

فكانت هذه الحلقة تمتاز بالعظم والتَّنوُّع، فكانت مقصدًا لفئات كثيرة من النَّاس وكانت بذلك مجمعًا للمذاكرة والاستشارة، والمناشدة والمخابرة، يقول صاحب "نزهة الألباء" عن الحلقة: "وكان يقصدها طلبة العربية وفصحاء الأعراب والبادية".[2]

ويقول "ابن خلِّكان": (ت 681 هـ) "كانت حلقته بالبصرة ينتابها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية".[3]

و/ تلامذته:

لما كان "يونس بن حبيب"، رضى الخلق، باذلًا للعلم، التفَّ حوله كثير من التَّلاميذ، وتزاحموا على حلقته العلمية، فبرز منهم كثيرون في علوم شتَّى أشهرهم:

- **في اللُّغة:** "أبو عبيدة بن المثنَّى" (ت 210 هـ)، صاحب "مجاز القرآن"، وَ "عبد الملك بن قريب الأصمعي" (ت 210 هـ)، وَ "أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري" (ت 215 هـ).[4]

[1]- أنباء الرُّوَّاة، القفطي، ج 2، ص 366.

[2]- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص 52.

[3]- وفيات الأعيان، ابن خلِّكان، ص 244.

[4]- ينظر: مراتب النَّحويين، أبو الطيِّب اللُّغوي، ص 39، وفيات الأعيان، ابن خلِّكان ج 7، ص 244-245.

- **في النَّحو**: أشهرهم "أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه" العلَم الأشهر والذي لا يجهل كتابه أحد، وَ "أبو عمرو صالح ابن إسحاق الجرمي" (ت 225 هـ).[1]

وقد اتَّفق القدماء على أنَّ "سيبويه" روى عنه أكثر وقد دعَّم هذه الفكرة ما قام به "مهدي المخزومي" فقد أحصى ذكر اسم "يونس" في كتاب "سيبويه" في ثمانين ومئة موضعا من كتابه، وربَّما أورد لـ: "يونس" فصلا كاملًا كما جاء في بحث التَّصغير[2]، وتتَّفق المراجع أنَّ بعض أعلام الكوفيين قصدوا "يونس بن حبيب" ونقلوا عنه وأشهرهم: "أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي" وَ "أبو زكرياء يحي بن زياد الفرَّاء".[3]

- **في الأدب والأخبار**: أشهرهم "أبو محرز خلف بن حيَّان الأخضر" (ت 180 هـ)[4]، وَ "أبو عبد الله محمد بن سلَّام الجمحي" (ت 232 هـ) صاحب "طبقات الشُّعراء".
- **في قراءة القرآن**: ذكر "ابن الجزري" جماعة من تلامذته في قراءة القرآن هم: ابنه "حرمي بن يونس"، وَ "أبو عمر الجرمي"، وَ "إبراهيم بن الحسين"، وَ "عبد الله بن سليمان"، وَ "عيسى الأسدي" وَ "موسى بن عبد الصَّمد الأيلي".[5]
- **في الحديث**: ذكر "أبو حاتم" رجلين رويا عنه الحديث، هما: "زياد بن عثمان بن زياد بن أبي سفيان"، وَ "قريش بن أنس".

---

[1]- ينظر: أخبار النَّحويين البصريين، السَّيرافي، ص 56، وبغية الوعَّاة في طبقات اللُّغويين والنُّحَّاة، السُّيوطي، ج 2، ص 8، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص 98.

[2]- ينظر: يونس بن حبيب، حسين نصَّار، ص 39.

[3]- المرجع نفسه، ص 40.

[4]- بغية الوعَّاة في طبقات اللُّغويين والنُّحَّاة، السُّيوطي، ج 1، ص 554.

[5]- غاية النِّهاية في طبقات القرَّاء، ابن الجزري، ج 2، ص 406.

ز/ مؤلَّفاته:

لقد اختلف المترجمون في أسماء كتبه، ومجموع ما يتحصَّل لنا من أقوالهم أنَّ له كتابين في "معان القرآن" أحدهما كبير والثَّاني صغير وبهذا الكتاب افتتحت مجموعة من المصنَّفات تحمل هذا العنوان مثل: "مجاز القرآن" لـ: "أبي عبيدة" و"معان القرآن" لـ: "الأخفش" وَ "الفرَّاء" وتوالت بعدهم المصنَّفات في هذا الموضوع.

وله كتاب "النَّوادر"، ويقول "السُّيوطي": "إنَّه لم يقف عليه ولكن رأى بخطِّ "تاج الدِّين بن مكتوم" قوله إنَّه قليل الوجود كثير الفائدة".[1]

وأعلن "ابن خلِّكان" وَ "القفطي" أنَّ له كتاب "النَّوادر الصَّغير"[2]، وذكر "ابن النَّديم" أنَّ لـ: "يونس" كتاب "النَّوادر الكبير"، وكتاب "النَّوادر الصَّغير" وكتاب في "اللُّغات"[3]، وآخر في "الأمثال" ومن سوء الحظِّ أنَّ المكتبة العربية لا تعرف واحدا من هذه الكتب، ولم يصل إلينا توفُّر واحد منها في مكتبة عامَّة أو خاصَّة، ويبدو أنَّ الرُّوَّاة لم يدقِّقُوا النَّظرة في تسمية هذه الكتب، ولم يحدِّثونا عن الفرق بين كتاب "النَّوادر" وكتاب "اللُّغات"، فتأليف "يونس" لهذه الكتب إنَّما يدلُّ على ثقافته الواسعة.

ح/ منهجه بين السَّماع والقياس:

إنَّ أبرز ما يميِّزُ منهج "يونس بن حبيب" ميله إلى السَّماع عن العرب، ويظهر ذلك في كتاب "سيبويه" من خلال ما يرويه عن سماع "يونس"، ورصده للكثير من الظَّواهر اللُّغوية وإطلاقه الأحكام والقواعد على ما يسمعه عن العرب، ونرى "يونس" في مواضع كثيرة يتقيَّد بكلام العرب، وينقل عنهم من دون إشارة إلى قاعدة أو حكم، وهذا ما ذكرناه سالفا في أخذه عن العرب الفصحاء الذين كانوا

---

[1]- تاريخ النَّحو في المشرق والمغرب، محمد مختار ولد أباه، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 1429هـ/2008م، ص 68.

[2]- ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلِّكان، ج 2، ص 416، وأنباء الرُّوَّاة، القفطي، ج 2، ص 367.

[3]- الفهرست، ابن النَّديم، ص 571.

مصدر ثقافته ومدى إسهامهم في بناء شخصية "يونس" النَّحوية واللُّغوية، وإن كان الأخذ بكلام القلَّة يخالف القياس، وما أدعِّم به هذه الفكرة إسقاط العرب ياء المتكلِّم من الاسم المنادى نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[1]، لأنَّ "يونس" يزعم ثبات الياء في الأسماء.[2]

كما أنَّ "يونس" يبتعدُ عن القياس، ويأخذُ بما يسمعه من كلام العرب، فاللُّغة الفصيحة عنده ما نُطق بها أصحابها دون تأثُّر بأيَّ لغة.

[1]- سورة الزُّمر، الآية 16.

[2]- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408هـ/1988م، ج 2، ص 209.

الفصل الأوَّل:

الخلاف النَّحوي، جذوره وآثاره على الدَّرس النَّحوي

تمهيد:

الخلاف النَّحوي موضوع خصب في اللُّغة العربية، ذو فائدة كبيرة للطَّالب فعنده تتفرَّع مسائل النَّحو وتتعدَّد وجهات النَّظر، إذ تتحفَّز الأفكار للتَّحليل والاستنتاج؛ فالخلاف النَّحوي يقف بنا على المستعصي من علوم اللُّغة ودقائقها، ويحفِّزنا دوما إلى البحث والدَّرس والكشف في التُّراث من مُعطيات لتأصيلها والإفادة منها، وقد شغل الخلاف حيِّزا من الفكر النَّحوي، فالمطَّلع على كُتب الخلاف بصفة خاصَّة، وكتب النَّحو بصفة عامَّة يلحظُ أنَّ الخلاف قد طال جميع أبواب النَّحو العربي، وعليه قد كثُرت المسائل التي دار فيها الخلاف حتَّى كاد النَّحو يكون كلّه خلاف سواء ما وقع من البصريين والكوفيين بصفة عامَّة أو ما وقع بين أفراد بعينها، وسواء أكان في أبواب النَّحو العامَّة أم في مسائل فرعية تندرج تحت هذه الأبواب، ولما موضوع بحثي في الخلاف النَّحوي، خصَّصت هذا الفصل للحديث عن نشأة الخلاف، وذلك بالوُقوف على أسباب نشأته، والآثار التي خلَّفها على الدَّرس النَّحوي.

أوَّلا/ الخِلاف النَّحوي (ماهيته، نشأته):

1/ ماهية الخِلاف النَّحوي:

قبل أن أتطرَّق إلى نشأة الخلاف النَّحوي ومعرفة أسبابه يهمُّني توضيح معنى الخلاف في **اللُّغة والاصطلاح** وكذلك تَبْيِينُ الفَرْقِ بين الخلاف والاختلاف، فبعد رُجوعي إلى المعاجم العربية وجدتُ أنَّ مادَّة (خلف) تدور حول ثلاثة معانٍ بيَّنها "ابن فارس" بقوله في معجم "مقاييس اللُّغة:" الخَاءُ وَاللَّامُ وَالفَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ أَحَدُهُمَا أَنْ يَأْتِي شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ وَيَقُومُ مَقَامَهُ الثَّانِي خِلَافَ قُدَّامِ وَالثَّالِثُ التَّغْيِيرُ، وَالأَصْلُ الأَوَّلُ هُوَ المَقْصُودُ هُنَا فِي قَوْلِهِمْ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَذَا وَالنَّاسُ خَلْفَهُ أَيْ مُخْتَلِفُونَ

لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُنْحِي قَوْلَ صَاحِبَهُ وَيُقِيمُ مَقَامَ الذِي نَحَاهُ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ الخِلَافُ ضِدَّ المُوَافَقَةِ".[1]

ولعلَّ الأصل في معنى كلمة الخلاف مأخوذ من الاستعمالات الحسِّية لهذه الكلمة بمعنى (الخَلْف) لذا غالبًا ما تكون هناك صلة قرابة بين الاستعمالات الحسِّية والاستعمالات المجازية للكلمة، أي أنَّ: كلا من المخالفين يعرض عن صاحبه، ويجعله خلفه، فينتج عن ذلك تعارض اتِّجاههما فنقول: (خَالَفَ عَنْهُ): بَعُدَ، وَ (خَالَفَنِي زَيْدٌ فِي كَذَا): إذا قصد الشَّيء وأنا مولٍ عنه".[2]

والذي يُراد بيان معناه هنا هو إطلاقهم في نحو قول القائل: في المسألة خلاف بين العلماء، أو: اختلف العلماء في كذا ويقال خالف الرَّجل صاحبه لم يوافقه، ويقول عنه "الرَّاغب الأصفهاني" في كتابه "مفردات القرآن": "الخِلَافُ وَالاخْتِلَافُ وَالمخَالَفَةُ أَنْ يَأْخُذَ كُلَّ وَاحِدٍ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِ الأَوَّلِ فِي فِعْلِهِ أَوْ حَالِهِ".[3]

كما اشتمل القرآن الكريم في بعض آياته على معناه قال تعالى:﴿ وَإِذَا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾[4]، لقد وردت كلمة (خلافك) هنا في الآية بمعنى بعدها، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ

[1]- مقاييس اللُّغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السَّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج 2، ص 210-213.

[2]- الكلِّيات معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش وآخرون، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت/لبنان، ط 2، 1019هـ/1998م، ج 2، ص 299.

[3]- مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، مادَّة (خلف)، دار القلم، دمشق، ط 4، 1430هـ/2009م، ص 294.

[4]- سورة الإسراء، الآية 76.

لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾[1]، وقال أيضا: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.[2]

يقول "القرطبي" في تفسيره للآية الأخيرة: "على أديانٍ شتَّى، وقيل مختلفين في الرِّزق فهذا غنيٌّ وهذا فقير"[3]، والذي يظهر بعد تأمُّل النَّظر في الكتاب والسنَّة أنَّ الكلمة يتحدَّد معناها بحسب السِّياق الذي ترد فيه، فقد ترد كلمة (اختلف) في سياق تُبيِّن منها النَّهي عن الاختلاف عموما دون تحديد لفئة معها، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾.[4]

والخِلاف بمعنى المخالفة أعمُّ من الضدِّ لأنَّ كلَّ ضدَّين هما اللَّذان بينهما غاية الخلاف، وذلك لأنَّنا نقول مثلا: الأبيض خِلاف الأحمر والأسود ولا نقول ضدَّ الأحمر والأسود، بل الأبيض ضدَّ الأسود فيكون الخِلاف قد جرى على الاثنين جميعا، والضدُّ على أحدهما فقط.[5]

وبيان ذلك أنَّنا إذا استعملنا كلمة خِلاف كان ذلك بالنَّظر إلى أطراف الخِلاف كافَّة، أو إلى جملة منه كأن تقول: اختلف النُّحَاة في رافع الفعل المضارع، ولكن إذا نظرنا إلى طرفين متضادَّين من أطراف الخِلاف فإنَّنا نقول: هذا القول ضدُّ الآخر، فالعلاقة بين الضدِّ والخِلاف علاقة الخاصِّ بالعامِّ، والجزء بالكلِّ.

---

[1]- سورة هود، الآية 110.

[2]- سورة هود، الآية 118.

[3]- الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمَّنه من السنَّة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله بن المحسن التُّركي، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1418هـ/1998م، ج 9، ص 115.

[4]- سورة آل عمران، الآية 102.

[5]- مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، ص 294.

يمكننا أن نقول إذن: إنَّ المعنى **اللُّغوي** للخلاف هو المخالفة والمعارضة وعدم المماثلة والاتِّفاق وهو المعنى نفسُه الذي جاء في نُصوص القرآن الكريم، أمَّا الخِلاف في **الاصطلاح**: فلن يخرج عن المعنى اللُّغوي الذي هو عدم الاتِّفاق وهو أن يأخذ أحدهما طريقًا خِلاف ما ذهب إليه الآخر وأطلق عليه "الجرجاني" مصطلح (المُنازعة)، فقد ذكره "الجرجاني" بقوله: "هو مُنازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقٍّ أو إبطال باطلٍ"[1]، إلَّا أنَّ ما ذكره "الجرجاني" في تعريف الخِلاف إنَّما يَصْدُقُ على معنى الجدل والمناظرة في المسائل الخلافية، والتي يدلي فيها كلٌّ من المتناظرين أو المتجادلين بحججه لإحقاق ما يراه حقًّا أو إبطال ما يظنُّه باطلا.

وعلى هذا يمُكن القول أنَّ الخِلاف في **الاصطلاح** هو تعدُّد الآراء والاتِّجاهات في القضيَّة الواحدة، سواء أكانت هذه الآراء متضادَّة أم لا وسواء أدَّت إلى النُّزوع أم لا.[2]

ويتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ الخِلاف يعني عدم الاتِّفاق في الرَّأي في مسائل اللُّغة أو أيَّ مسألة من المسائل، ومن هنا وجدنا البعض يستعمل مصطلح (الخلاف)، والبعض الآخر يستعمل مصطلح (الاختلاف)، فهل بينهما فرق؟

2/ الفرق بين الخلاف والاختلاف:

الاختلاف هو أَنْ يذهب كلُّ واحد إلى خِلاف ما ذهب إليه الآخر[3]، ولم يُفرِّق "ابن عقيل" و"الجرجاني" بين الخلاف والاختلاف في الاصطلاح عند تعريفهم، وفرَّق "الكفوي" في كتابه "الكلِّيات" بين الخلاف والاختلاف بقوله: "والاختلاف هو أَنْ يكون الطَّريق مختلفا والمقصود واحدا

[1]- التَّعريفات، الشَّريف الجرجاني، تح: محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 89.

[2]- ينظر: أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر فيَّاض العلواني، الدَّار العلمية للكتاب، قطر، ط 1، 1412هـ، ص 21.

[3]- المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير للرَّافعي، أحمد بن محمد بن علي الفيُّومي، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، بيروت، ط 2، (د ت)، ص 179.

والخلاف هو أن يكون كلاهما مختلفا والاختلاف ما يسند إلى الدَّليل والخلاف ما لا يستند إلى الدَّليل والاختلاف من آثار الرَّحمة والخلاف من آثار البدعة".[1]

ومعنى قوله أنَّ الخلاف هو أَنْ يختلف العلماء في قضيَّة ما، لكن الهدف واحد فيُمكن أَنْ يختلفوا في الفروع ويبقى الأصل واحد.

ممَّا سبق نستطيع أَنْ نوجز الفرق بين الاختلاف والخلاف في النِّقاط التَّالية:

- الاختلاف هو التَّباين في الرَّأي أمَّا الخلاف هو المخالفة والمعارضة.
- الاختلاف ينصبُّ على الرَّأي، بينما الخِلاف ينصبُّ على الشَّخص.
- ربَّما يُؤدِّي الاختلاف إلى خلاف، ولكن كلُّ خِلاف ينتج عنه اختلاف.

إلَّا أنَّ كلمة الخِلاف والاختلاف من حيث اللَّفظ ليس بينهما فارق يعوَّل عليه؛ حيث أنَّ العلماء يستخدمونها في مدوَّناتهم بمعنى واحد.

3/ نشأة الخلاف النَّحوي:

لا نبتعد كثيرا إذا قلنا أنَّ الخِلاف النَّحوي بين العلماء قد بدأ في مرحلة مبكِّرة من تاريخ الدَّرس النَّحوي العربي حتَّى قبل أن يُؤلِّف "سيبويه" كتابه، فمن ينظر في كتب العلماء والطَّبقات يُلاحظ أنَّ بين النُّحَّاة المتقدِّمين أمثال "أبو إسحاق الحضرمي" وَ "أبو عمر بن العلاء" وَ "عيسى بن عمر" خلافات تتعلَّق بالعربية ولهجاتها، فتضاربت الآراء في تحديد بدء الخلاف النَّحوي ونشأته، فقد ذهب بعضهم إلى أنَّه بدأ بين "الرُّؤاسي" وَ "الخليل" أو بين "يونس" وَ "الخليل" ومنهم من ذهب إلى أنَّه بين "الكسائي" وَ "سيبويه"، وإذا أردنا أن نقف على نشأة الخِلاف النَّحوي بصورته الصَّحيحة علينا أن نقسِّمه كما قسَّمه مؤرِّخو النَّحو إلى أربعة أقسام:

[1]- الكلِّيات، أبو البقاء الكفوي، ص 61-62.

أ/ المرحلة الأولى:

تعدَّدت الرِّوايات وتضاربت الآراء حول واضع علم النَّحو، إذ تؤرِّخ بعض الرِّوايات بـ: "أبي الأسود الدُّؤلي" (ت 69 هـ) بوصفه واضع الأسس الأولى لعلم النَّحو، يقول "ابن سلَّام الجمحي": "وكان أوَّل من أسَّس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها "أبو الأسود الدُّؤلي"".[1]

فالمراد بمصطلح (العربية) عند "ابن سلَّام الجمحي" وضع المبادئ الأوَّلية للقواعد النَّحوية أو النَّحو العربي، وهو كذلك عند "أبو عبيدة معمَّر المثنَّى" (ت 21 هـ)؛ حيث قال: "أخذ "أبو الأسود" عن "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه العربية"[2]، كما ورد هذا المصطلح على لسان "عمر بن الخطَّاب" رضي الله عنه حينما قال: "تعلَّموا العربية فإنَّها تثبِّت العقل وتزيد في المروءة".[3]

فإنَّنا نفهم من هذه الأقوال أنَّ علم النَّحو لم يكن يسمَّى بهذا الاسم وإنَّما أُطلق عليه مصطلح (العربية)، كما نُشير أيضا بأنَّ نسبة القياس إلى "أبو الأسود الدُّؤلي" كما فعله "ابن سلَّام الجمحي" فالمراد بالقياس عنده هو القياس الفطري أو البدائي وهو ما يسمَّى بالاستقراء وليس القياس الصِّناعي المنطقي الذي عُرف مؤخَّرا.[4]

كما تحدَّثت بعض المصادر عن نسبته لـ: "أبي الأسود الدُّؤلي" أيضا، لكن كان ذلك بأمر من "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه، فقد سئل "أبو الأسود الدُّؤلي" عمَّن فتح له الطَّريق إلى الوضع في النَّحو، وأرشده إليه فقال: "تلقَّيته عن "علي بن أبي طالب" رحمه الله".[5]

---

[1]- طبقات فحول الشُّعراء، محمد بن سلَّام الجمحي، ج 1، ص 12.

[2]- أخبار النَّحويين البصريين، السِّيرافي، ص 34.

[3]- طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 13.

[4]- مراحل تطوُّر الدَّرس النَّحوي، عبد الله الخثران، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ط)، 1413هـ/1993م، ص 42.

[5]- طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 21.

وتذكر روايات أخرى أنَّ واضعه "نصر بن عاصم" (ت 89 هـ)، ويُذكر أنَّ واضعه "عبد الرَّحمن بن هرمز" (ت 117 هـ)، ومن الرِّوايات ما يجعل هؤلاء الثَّلاثة الذين ذكرتهم مشتركين في وضع علم النَّحو، قال "الزَّبيدي": "أوَّل من أصَّل ذلك يعني (النَّحو) وأعمل فكره فيه هو "أبو الأسود ظالم بن عمر الدُّؤلي" وَ "نصر بن عاصم" وَ "عبد الرَّحمن بن هرمز" فوضعوا للنَّحو أبوابا وأصَّلوا أصولا".[1]

ذكرت المصادر القديمة أنَّ "أبا الأسود الدُّؤلي" وضع النَّحو بأمر من "عمر بن الخطَّاب" رضي الله عنه، وقد أثبت ذلك "العقَّاد" في كتابه "عبقرية عمر"[2]، فاختلفت الرِّوايات إذن حول واضع علم النَّحو ومعظمها ترجع إلى "أبو الأسود الدُّؤلي" أوَّلية الدَّرس النَّحوي وهو ما يُمكن أن نلمسه في قول "أبو سعيد السَّيرافي" (ت 368 هـ): "واختلف النَّاس في أوَّل من رسم النَّحو فقال قائلون: "أبو الأسود الدُّؤلي" وقال آخرون "نصر بن عاصم" وقال آخرون "عبد الرَّحمن بن هرمز" وأكثر النَّاس على "أبي الأسود الدُّؤلي"[3]، وفي نفس السِّياق يقول "حسن الزَّيَّات": "وأجمع المؤرِّخون أنَّ "أبا الأسود الدُّؤلي" المتوفَّ سنة (69 هـ) واضع النَّحو".[4]

ويُقصد بالوضع هنا وضع البُذور الأولى واللَّبنات اليسيرة في البناء المتكامل الذي انتهى في عصور متأخِّرة وليس المقصود وضع علما كاملا ناضجا فرَّع أصوله ونوَّع مسائله وأطلق مصطلحاته، لأنَّ العلوم ككلّ كائن خاضعة للنُّشوء والارتقاء، فيمكن أن نسمِّي هذه المرحلة مرحلة الولادة والنَّشأة ووضع البذور الأولى للدرس النَّحوي فتذكر كتب التَّراجم والطَّبقات والأدب رجال هذه الطَّبقة الذين

[1]- المصدر السَّابق، ص 11.

[2]- مراحل تطوُّر الدَّرس النَّحوي، عبد الله الخثران، ص 32.

[3]- أخبار النَّحويين البصريين، السَّيرافي، ص 33.

[4]- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 1، 1960م/1995م، ص 200.

تتلمذوا على شيخهم "أبو الأسود الدُّؤلي"، نذكر منهم: "نصر بن عاصم"، "عنبسة بن معدان الفيل" (ت 100 هـ)، "عبد الرَّحمن بن هرمز" وغيرهم".[1]

فلم يكن للخلاف في هذه المرحلة ظُهور واضح ولم تظهر بينهم فكرة القياس التي كانت نقطة البداية في الخِلافات النَّحوية؛ حيث كان اعتمادهم على المحفوظ فقط ولم تذكر الرِّوايات أنَّ لهم نشاطا نحويًّا نظريًّا ولم يصل شيء من الآراء النَّحوية المنسوبة لـ: "أبي الأسود الدُّؤلي" أو لتلميذ من تلامذته يقول الأستاذ "محمد الطَّنطاوي" عن جهود أعلام هذه الطَّبقة: "ويغلِبُ على الظنِّ أن مَا تكون من نحو هذه الطَّبقة كان شبه الرِّواية للمسموع فلم تنبُت بينهم فكرة القياس ولم ينهض ما حدث في عهدهم من أخطاء إلى إحداث ثغرة خِلاف بينهم لقُرب عهد القوم بسلامة السَّليقة، كذلك لم تقوَ حركة التَّصنيف بينهم".[2]

فلم يكن قبل "عبد الله بن إسحاق الحضرمي" شيء من البحث النَّحوي، ويبدو أنَّ عدم وجود أيَّ أثر نحوي مكتوب في هذه الفترة الزَّمنية الممتدَّة من زمن "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه وَ "أبي الأسود الدُّؤلي" إلى النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني الهجري، زمن "سيبويه"، قد أسهم في تعدُّد الرِّوايات واختلاف الآراء حول مسألة نشأة النَّحو، بل إنَّ غياب الإنتاج النَّحوي في هذه الفترة الزَّمنية التي تزيد عن مئة سنة، جعلت البحث في تطوُّر الدَّرس النَّحوي أمرا غامضا.[3]

ب/ المرحلة الثَّانية:

عندما ظهر اللَّحن والخطأ والتَّصحيف والتَّحريف في القرآن سَارَعَ العلماء إلى مُحاربة هذه الظَّواهر خدمة للقرآن الكريم وللغة القرآن فإنَّ هذا أهمَّ ما تميَّزت به هذه المرحلة فلم يكن لهم من

[1]- أخبار النَّحويين البصريين، السَّيرافي، ص 4.

[2]- نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحَاة، الطَّنطاوي، ص 28.

[3]- ينظر: طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 23، الفهرست، ابن النَّديم، ص 47.

الأصول النَّحوية المعروفة شيء إلَّا أنَّهم كانوا قرَّاء يروون القرآن وقراءاته ومن ذلك: ما رُوي عن "الحجَّاج" مع "يحي بن يعمر العدواني"؛ حيث قال له "الحجَّاج": أتسمعني ألحن على المنبر قال له الأمير أفصح من ذلك، فلمَّا ألحَّ عليه قال: تقول في القرآن :﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، تقرأ (أَحَبَّ) بالرَّفع قال: لا جرم، لا تسمع لي لحنا، والوجه أن تقرأ بالنَّصب خبر كان.[2]

ومن ذلك أيضا ما انتقده "عبد الرَّحمن بن هرمز" على "يحي بن يعمر" في قراءته حكم بالرَّفع من قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴿٥٠﴾﴾[3]، أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون، فقال "عبد الرَّحمن بن هرمز": لا أعرف في العربية أفحكم يعني بالرَّفع وقرأها بالنَّصب.

فهذه المناقشات على حسب "عبد الله الخثران" تتمحور حول الإعراب والإقراء، وهي إحدى الملحوظات التي سبقت نشأة النَّحو العربي، فكانت مهمَّتهم تهدف إلى محاولة الوصول إلى بعض المسائل من ملحوظات مفردات القرآن الكريم وقراءاته.[4]

ج/ المرحلة الثالثة:

تمثِّل هذه المرحلة الطَّبقة الثَّانية من نحَّاة البصرة فقد كانت البصرة الأكثر نشاطا في استكشاف الظَّواهر اللُّغوية النَّحوية، ويكاد مؤرِّخو النَّحو يُجمعون على أنَّها مرحلة التَّأسيس وبناء القواعد

[1]- سورة التوبة، الآية 24.

[2]- طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ج 1، ص 28.

[3]- سورة المائدة، الآية 50.

[4]- مراحل تطوُّر الدَّرس النَّحوي، عبد الله الخثران، ص 75.

والأصول؛ حيث برزت عند هذه الطَّبقة بعض القواعد والأسس، ومن أبرز رجال هذه المرحلة: "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي" (ت 117 هـ)، وَ "عيسى بن عمر الثَّقفي" (ت 149 هـ)، وَ "أبو عمر بن العلاء المازني التَّميمي" إمام أهل البصرة.[1]

فقد ظهرت عند رجال هذه الطَّبقة ظاهرتا السَّماع والقياس التي تعتبر النَّواة الأساسية للخلاف النَّحوي، فـ: "عبد الله بن إسحاق الحضرمي" كان أوَّل من نشَّط القياس ووصفته المصادر بأنَّه كان أوَّل من بعَّج النَّحو ومدَّ القياس وشرح العلل.[2] والمراد بالقياس عنده هو القاعدة النَّحوية أو الضَّبط النَّحوي، كما أنَّه فطن إلى اللُّغة العربية تحكمها قوانين عامَّة تنظِّم جزئياتها وأنَّ فيها ما لا يطرد فيه ذلك، بمعنى هناك أمور في اللُّغة لا تؤخذ إلَّا عن طريق السَّماع دون الخضوع إلى قانون وهناك ظواهر تخضع لهذا القانون، فقد رُوي أنَّ "الفرزدق" لما أنشد:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ ★★★★★ مِنَ المالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَلَّفُ.[3]

سأله "ابن أبي إسحاق" بما رفعت (مجلَّفُ) فقال: "بما يسُوءك وينُوءك علينا أن نقول وعليكم أن تتأوَّلوا".[4]

وقد بلغ تمسُّكه بالقياس النَّحوي أنَّه كان يخطِّئ الشُّعراء الذين يخرجون عن القواعد المطَّرَدَةِ أو القاعدة النَّحوية ومن ذلك المشادَّة التي جرت بينه وبين "الفرزدق"، فقد رُوي أنَّ "الفرزدق" حضر مجلس "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي" فقال له: كيف تنشد هذا البيت؟

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا ★★★★★ فَعُولَانِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الخَمْرُ.[5]

---

[1]- المرجع السَّابق، ص 76.

[2]- ينظر: طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 31.

[3]- ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج 2، ص 26.

[4]- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بن أبي الخطَّاب القرشي، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، مصر، (د ط)، (د ت)، ج 1، ص 699.

[5]- ديوان ذي الرمَّة، أحمد حسن سبِّيح، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 1415هـ/1995م، ص 104.

فأنشده "الفرزدق" هكذا (فَعُولَانِ) فقال "ابن أبي إسحاق": ما كان عليك لو قلت (فَعُولَيْنِ) فقال "الفرزدق": لو شئت أن أسبِّح لسبَّحت، ونهض فلم يعرف أحد في المجلس قوله: لو شئت أن أسبِّح لسبَّحت، فقال "عبد الله بن أبي إسحاق": لو قال (فَعُولَيْنِ) لأخبر أنَّ الله خلقهما وأمرهما، ولكنَّه أراد أنَّهما تفعلان ما تفعل الخمر.[1]

ومن ذلك أيضا الخلاف الذي وقع بين "أبي عمرو بن العلاء" (ت 104 هـ) وَ "عيسى بن عمر" (ت 149 هـ) حول تأويل النَّصب في (الطَّير) من قوله تعالى: ﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾[2]، فكان "عيسى" يقول: النَّصب على النِّداء كقولك: (يَا زَيْدُ الحَارِثَ) لما لم يمكِّنه (وَالحَارِثُ)، أي أنَّه منصوب بالعطف على موضع المنادى، فردَّ عليه "أبو عمر" بقوله: لو كان على النِّداء لكان رفعا، ولكنَّها على إضمار (وَسَخَّرْنَا الطَّيْرَ) لقوله: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ ١٢﴾[3]-[4]، فبين محتجٍّ بالسَّماع وآخر بالقياس ظهر الخِلاف النَّحوي؛ حيث تعدَّدت المسائل النَّحوية اللُّغوية متَّفقا عليها من جهة ومختلفا عليها من جهة أخرى ولا شكَّ أيضا أنَّ في هذه الرِّوايات دليل على بدايته.

د/ المرحلة الرابعة:

أخذ الخلاف في هذه المرحلة ينمو بنموِّ النَّحو، حتَّى جاء "الخليل" وتلميذه "سيبويه" فتنوَّعت القضايا وتفرَّعت المسائل، واختلف وجهات النَّظر، وبدأت ظواهره تقوى في المناظرات التي كانت تجرى بين العلماء في مجالس المناظرة والبحث حول آية أو بيت أو عبارة؛ غير أنَّ الخلاف النَّحوي لم

[1]- ينظر: مجالس العلماء، الزجَّاجي، تح: عبد السَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1999م، ج 1، ص 14-15.

[2]- سورة سبأ، الآية 10.

[3]- سورة سبأ، الآية 12.

[4]- ينظر: طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ج 2، ص 275.

يأخذ طابع الجدِّ، ولم يلبس ثوب التَّنافس العنيف إلَّا في عهد "سيبويه" وَ "الكسائي" اللَّذين على أيديهما بدأت تظهر مسائل الخلاف، وبدأ مباشرة بين الطَّبقة الرَّابعة ممثَّلة في "سيبويه" والطَّبقة الثَّانية ممثَّلة في "الكسائي" (ت 190 هـ)؛ حيث ظهر بين العالمين الجليلين خلاف كبير، ويُبدي "شوقي ضيف" رأيا يُشير إلى أنَّ أوَّل خلاف ظهر بين "الأخفش" (ت 215 هـ) لشيخه "سيبويه"، يقول: "إنَّ أبواب الخلاف فتحت على يدي "الأخفش" تلميذ "سيبويه"، فإنَّه كان عالما بلغات العرب، وكان ثاقب الذِّهن، حادَّ الذَّكاء، فخالف أستاذه "سيبويه" في كثير من المسائل".[1]

ممَّا خالف "الأخفش" شيخه "سيبويه" حروف الإعراب في المثنَّى وجمع المذكر السَّالم، يقول "أبو بكر الأنباري": "ذهب "سيبويه" إلى أنَّ الألف والواو والياء هي حروف إعراب، وذهب "أبو الحسن الأخفش" وَ "أبو العبَّاس المبرِّد" ومن تبعهما أنَّها تدلُّ على الإعراب وليس بإعراب"[2]، وبهذا يكون "الأخفش" أوَّل من فتح الباب.

نضيف أيضا الخلافات التي نجدها في كتاب "سيبويه" نفسه، باعتباره النَّواة التي انبثقت عنها المؤلَّفات النَّحوية التي جاءت بعده فكان "سيبويه" يُحيل على نحويين سابقين أو معاصرين له، يسمِّيهم أحيانا ولا يسمِّيهم أحيانا أخرى وقد أحصى "النَّجدي" أنَّه ذكر اسم "الخليل" في الكتاب (522) مرَّة، كما ذكر اسم "يونس بن حبيب" (200) مرَّة.[3]

فالخِلاف إذا بدأ في مرحلة مُبكِّرة، لكنَّه لم يتَّخذ شكل العصبية المذهبية إلَّا عند المتأخِّرين، وذلك عندما أصبح كتاب "سيبويه" الأساس الذي يقوم عليه الخلاف، فهو قد ضمَّنه كثيرا من المؤاخذات النَّحوية، كما أنَّ في هذه المرحلة برزت المناظرات وقد كان للمسألة الزَّنبورية التي ناظر فيها

[1]- المدارس النَّحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 7، (د ت)، ص 96.

[2]- أسرار العربية، أبو بكر الأنباري، تح: محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي، دمشق، (د ط)، 1377هـ/1957م، ص 65.

[3]- ينظر: سيبويه إمام النُّحَاة، ناصف علي النَّجدي، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1399هـ/1979م، ص 102.

"الكسائي" "سيبويه" بعد أن تتلمذ الأوَّل على أيدي البصريين، أثر جليٌّ في إظهار الخلاف النَّحوي بصورته الجليَّة.

ومن هنا نقول أنَّ بداية الخلاف النَّحوي ظهرت:

- أ/ الخلاف بين "الأخفش" وَ "سيبويه".
- ب/ بين نحَّاة البصرة ونجدها بين ثنايا الكتاب، اختلاف الأخذ بين "الخليل" وَ "يونس بن حبيب".
- ج/ الخلاف والمناظرة التي وقعت بين "سيبويه" وَ "الكسائي" تعدُّ البداية الأولى للخلاف.

ولقد كانت الغاية من هذا التَّقسيم هو تتبُّع بداية الخلاف منذُ أن نشأ النَّحو.

ثانيا/ أسباب ظُهور الخِلاف النَّحوي:

ظهرت عدَّة عوامل هيَّأت روح الخلاف وسوف أُلقي الضَّوء على هذه العوامل التي كانت سببا في توسيع دائرة الخلاف ومن أهمِّها:

1/ المادَّة اللُّغوية واختلاف اللَّهجات:

إنَّ طبيعة المادَّة اللُّغوية التي تمتازُ بالمرونة والسَّعة وغزارة الألفاظ كانت سببا في نشوء الخلاف، لأنَّها تنتشر في أراض مترامية الأطراف في قبائل تفصل بينهم الحواجز الطَّبيعية، فتكون لكلٍّ منهم لغته الخاصَّة، حتَّى يكادُ بعضهم لا يميِّز لغة الآخرين حتَّى قيل: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلِسانِنا، ولا عَربيتهُم بعربيتنا".[1]

[1]- طبقات فحول الشُّعراء، الجمحي، ص 11.

ومن المعروف أنَّ الفرد يؤثِّر ويتأثَّر بالبيئة المحيطة به ما جعل القبائل العربية على درجات متفاوتة من الفصاحة بسبب تباعد جُغرافية هذه القبائل، ولعلَّ تعدُّد اللَّهجات في قراءة القرآن واحدا من الأمثلة على تباعد لهجات قبائل العرب بعضُها البعض فقد اشتهر بعضُها بأنَّها أفصح من بعض، والذي يبدو لنا أنَّ النُّحَّاة حين جمعوا المادَّة اللُّغوية ووضعوا قواعدهم لم يهتمُّوا بأسماء القبائل، ويمكن أن نُدِّعم ما نذهب إليه بما ذكرهُ "سيبويه" على بعض قبائل العرب التي وضعت عنها قواعد اللُّغة وتصريفها يقول "سيبويه": "وسَمِعنَا من يقول أمَّا العسل فأنا شرابُ".[1]

فاللُّغة سواء كانت تواضعا أم إلهاما لم تكن في وقت واحد كما ذكر "ابن جنِّي"[2]، أي لا بُدَّ أن يكون في أوَّل الأمر بعضها ثمَّ زيد عليها شيئا فشيئا، زيادة على ذلك أنَّ اللُّغة عندما وصلت على أيدي المقعِّدين عامل أساسي يحمل في طيَّاته أسباب الخلاف، فانتقال اللُّغة العربية من العصر الجاهلي إلى عصر صدر الإسلام لم تسلم فيه من تغيير، فقد تطوَّرت بعض الأصوات، وتحجَّرت بعض الكلمات، فنتج عن ذلك تباين في تأويل بعض المسائل كاختلافهم في اسمية (نِعْمَ) وَ (بِئْسَ).[3]

2/ الاختلاف المنهجي:

اختلف مناهج العلماء عند جمع المادَّة العلمية، ومن ثمَّ عند التَّطبيق ووضع القواعد، وقد يتَّصل هذا الاختلاف المنهجي في النَّزعة العقلية والفلسفية لدى بعض النُّحَّاة، أو الاهتمام بالسَّماع وتغليبه على النَّزعة العقلية لدى بعضهم الآخر، وتأثُّر بعضهم بالعلوم الأجنبية أو الإسلامية ممَّا ساعد على

[1]- الكتاب، سيبويه، ج 1، ص 111.

[2]- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنِّي، تح: محمد علي النَّجَّار، دار الكتب المصرية، مصر، (د ط)، (د ت)، ج 1، ص 183.

[3]- الإنصاف في مسائل الخلاف، كمال الدِّين أبو البركات عبد الرَّحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباري، قدَّم له ووضع هوامشه: حسن محمد بإشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، (د ط)، (د ت)، ج 2، ص 97.

طبع درسهم النَّحوي بطابع وسمات مميِّزة[1]، أي أنَّ كلَّ واحد منهم له أسلوبه الخاصُّ ويتَّضح ذلك في استعمالهم الأصول النَّحوية كالقياس، والسَّماع والرِّواية.

3/ العامل الزَّمني:

لقد اختلف النَّحويون في قضيَّة الاحتجاج، وحاولوا أن يحصُروا المادَّة اللُّغوية التي يُحتجُّ بها في حقبة معيَّنة، وكلُّ ما جاء فيها فهو صحيح، وهو ما قاله "ابن هرمة": "وقد حمل التَّطوُّر اللُّغوي في الحقبة التي سبقت الدِّراسات النَّحوية صيغا وكلمات تحجَّرت مع الزَّمن، وزالت منها أصوات، وأُضيفت إليها أخرى، ثمَّ إنَّ هذه الكلمات أثارت سبب ما أصابها من تطوُّر جدلا بين النُّحَاة".[2]

4/ الاجتهاد:

إنَّ النَّحو العربي ذو طبيعة اجتهادية بحيث يمكن لأيِّ نحويٍّ ك: "سيبويه" مثلا أن يخالف شيخه "الخليل" في العديد من القضايا التي بدا له ما بدا لشيخه اجتهادا منه، وطبيعيٌّ أن يختلف تعليل نحويٍّ عن تعليل آخر للقضيَّة الواحدة، وقد قال "ابن جنِّي": "فالخلاف بين العلماء أعمُّ منه بين العرب، وذلك أنَّ العلماء اختلفوا في الاعتلال لما اتَّفقت العرب عليه، كما اختلفوا فيما اختلفت العرب فيه، وكلٌّ ذهب مذهبا وإن كان ضعيفا وبعضه قويًّا".[3]

5/ التَّنافس بين العلماء:

سعى العلماء إلى إظهار مقدرتهم العلمية بُغية كسبِ جاه علميٍّ أو مالي ممَّا أدَّى إلى ظهور آراء متباينة، كلُّ رأي منها يُعبِّر عن شخصية صاحبه، وقد أسهم الخلفاء والأمراء في إثارة التَّنافس بين

[1]- الخلاف النَّحوي في المنصوبات، منصور صالح الوليدي، ص 12.

[2]- المرجع نفسه، ص 13.

[3]- الخصائص، ابن جنِّي، ج 1، ص 168.

العلماء، فكانت أغلب المنافسات على أيديهم، فحكموا في كثير منها، فعلى سبيل المثال المناظرات والمجالس التي دارت بينهم والذي كان يأمل كلُّ واحد أن يكون المجلى.

6/ اختلاف المصادر التي اعتمدوا عليها:

ما نُلاحظه عند قراءتنا لأقطاب المدرستين البصرية والكوفية نجد عزوف جلِّ علماء البصرة في الاحتجاج والاستدلال عن أهمِّ مصدر وهو القرآن الكريم وقراءاته المختلفة، وبنائهم قواعد اللُّغة على أبيات قليلة لشعراء مجهولين، في حين اعتمد الكوفيون طريقة التَّقعيد والقياس حتَّى على الشاذِّ ومن ذلك القراءات المختلفة للآية الواحدة.

ثالثا/ مظاهِر الخِلاف النَّحوي:

1/ المناظرات:

لا بدَّ لي أن أحدِّد مفهوم المناظرة أوَّلا ليتسنَّى لي بعد ذلك دراسة ما جاء فيها بشكل موضوعي، فالمناظرة على وزن مُفَاعَلَة، وهذا دليل على اشتراك أكثر من حرف فيها، فقد عرَّفها "الخليل" بقوله: "هي أن تُناظر أَخَاكَ في أمر إذا نظرتُما فيه كيف تأتيانه"[1]، فالمتأمِّل لقول "الخليل" يجد الكلمات (تناظر)، (أخاك)، (نظرتما فيه معا)كلُّها توحي بعملية تفاعل الآراء وصولا إلى الرَّأي المشترك وهو حصيلة ذلك التَّفاعل، وهذا ما توحي به عبارة: (كيف تأتيانه؟).

وَنَلْحَظُ أنَّ "الخليل" حرص على أن يقول: (أخاك) وهذه الكلمة توحي بعدم التَّنافر أو التَّباغض أثناء التَّناظر لأنَّ الغاية واحدة وهي بلوغ الحقيقة، والنَّصُّ يوحي بنضج فنِّ المناظرة في عصر "الخليل" وبالتَّالي هي فنُّ المناقشة والنَّظر في المسائل، تنتج عن اجتماع وتقابل طرفين من أهل الفكر

[1]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المختومي وإبراهيم السَّامرَّائي، مادَّة (نظر)، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 2003م، ج 8، ص 156.

والرَّأي والعلم والأدب، وكانت هذه المناظرات تتمُّ بإشراف الخليفة أو أحد كبار المسؤولين في الدَّولة، ومن أمثلتها مناظرة "الكسائي" وَ "سيبويه" التي كانت من أوَّليات ظهور الخلاف النَّحوي ولم تكن مناظرة من مناظرات النُّحَّاة قديما بمثل ما حظيت به هذه المناظرة المعروفة بالمسألة الزَّنبورية باهتمام الدَّارسين الأقدمين والمحدثين وتكمُن أهمِّيتها في أنَّها تمَّت بين عالمين عظيمين، لذلك اخترتها كنموذج من مظاهر الخلاف النَّحوي وقد استدعى منِّي المنهج العلمي الإلمام بتفاصيل المناظرة ورصد أوجه الاختلاف في روايتها، إذ رُويت بروايات مختلفة.

فقد أوردها "الأنباري" فقال: ذهب الكوفيون إلى أنَّه يجوز أن يُقال: (كُنتُ أظُنُّ أنَّ العقربَ أشدُّ لَسعةً من الزَّنبُور فإذا هُو إيَّاهَا) وذهب البصريون إلى أنَّه يجوز أن يُقال: (فإذا هُو هي) ويجب أن يُقال: (فإذا هُو هي)، أمَّا الكوفيون فاحتجُّوا بالحكاية المشهورة بين "الكسائي" وَ "سيبويه"، وذلك أنَّه لما قدِم "سيبويه" على البرامكة، فطلب أن يجمع بينه وبين "الكسائي"، حضر "سيبويه" في مجلس "يحي بن خالد" وعنده ولداه "جعفر" وَ "الفضل" ومن حضر بحضورهم من الأكابر، فأقبل "خلف الأحمر"* على "سيبويه" قبل حضور "الكسائي" فسأله عن مسألة، فأجابه فيها "سيبويه"، فقال له "خلف": أخطأت ثمَّ سأله عن ثانية فأجابه فيها، فقال له: أخطأت ثمَّ سأله عن ثالثة، فأجابه فيها، فقال له: أخطأت، فقال له "سيبويه": هذا سوء أدب.

قال "الفرَّاء": فأقبلت عليه وقلت: إنَّ في هذا الرَّجل عَجَلَةً وحِدَّةً ولكن ما تقول في من قال (هَؤُلَاءِ أَبُونَ)، وَ (مَرَرْتُ بِأَبِينَ)، كيف تقول على مثال ذلك: من (وَأَيْتُ) وَ (أَوَيْتُ) فقدَّر فأخطأ، ثلاث مرَّات يُجيبُ ولا يُصيبُ، فلمَّا كثر ذلك عليه قال: لا أُكلِّمكما أو يحضر صاحبكما حتَّى أناظره قال: فحضر "الكسائي"، فأقبل "سيبويه"، فقال: تسألني أو أسألك؟ فقال: بل تسألني أنت، فأقبل عليه "الكسائي"، فقال: كيف تقول: كنتُ أظُنُّ أنَّ العقرب أشدُّ لسعةً من الزَّنبُور، فإذا هو

* – خلف الأحمر: هو أبو محرز خلف بن حيَّان، من علماء البصرة في اللُّغة والنَّحو، مولى بلال بن أبي بردة، حمل على ديوانه أبو نوَّاس.

هي أو فإذا هو إيَّاها، فقال "سيبويه": (فإذا هو هي)، ولا يجوز النَّصب، فقال "الكسائي" لحنت ثمَّ سأله عن مسائل من هذا النَّحو، نحو: (خَرَجْتَ فَإِذَا عَبْدُ الله القَائِمُ) وَ (القَائِمَ) فقال "سيبويه" بذلك بالرَّفع دون النَّصب، فقال "الكسائي": ليس هذا من كلام العرب، والعرب ترفعُ ذلك كلَّهُ وتنصبهُ فرفع ذلك "سيبويه"، ولم يجز فيه النَّصبُ، فقال له "يحي بن خالد": قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلدِكما فمن ذا يحكم بينكما؟ فقال له "الكسائي": هذه العرب ببابك قد اجتمعت من كلِّ أوبٍ، ووفدت عليك من كلِّ صقعٍ وهم فصحاء النَّاس، وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم، فيحضرون ويسألون، فقال له "يحي" وَ "جعفر": قد أنصفت، وأمر بإحضارهم، فدخلوا وفيهم "أبو فقعس" وَ "أبو زياد" وَ "أبو الجرَّاح" وَ "أبو ثروان"، فسألوا عن المسائل التي جرت بين "الكسائي" وَ "سيبويه"، فوافقوا "الكسائي"، وقالوا بقوله، فأقبل "يحي" على "سيبويه" فقال: قد تسمع، وأقبل "الكسائي" على "يحي"، وقال: أصلح الله الوزير! إنَّه وفد عليك من بلده مؤملا، فإن رأيت أن لا تردَّه خائبا، فأمر له بعشر آلاف درهم، فخرج وتوجَّه نحو فارس، وأقام هناك ولم يعد إلى البصرة.[1]

ويقول "ابن الأنباري" في كتابه: "فأمَّا البصريون فاحتجُّوا بأن قالوا: إنَّما قلنا أنَّه لا يجوز إلَّا الرَّفع لأنَّ (هو) مرفوع بالابتداء، ولا بُدَّ للمبتدأ من خبر، وليس ها هنا ما يصلح أن يكون خبرا عنه، إلَّا ما وقع الخلاف فيه، فوجب أن يكون مرفوعا، ولا يجوز أن يكون منصوبا بوجه ما، فوجب أن يُقال (فإذا هو هي)، فـ (هو) راجع إلى الزَّنبور لأنَّه مذكَّر. وَ (هي) راجع إلى العقرب لأنَّه مُؤنَّث.

أمَّا الجواب عن كلمات الكوفيين: أمَّا ما رووه عن العرب من قولهم: (فإذا هو إيَّاها) فمن الشاذِّ الذي لا يعبأ به كالجزم بـ (لن) والنَّصب بـ (لم) وما أشبه ذلك من الشَّواذ التي تخرج عن القياس على أنَّه قد روى أنَّهم أعطوا على متابعة "الكسائي" جعلا، وأمَّا قولهم: إنَّ (إذا) للمفاجأة كانت بمنزلة (وجدتُ) فباطل، لأنَّها إن كانت بمنزلة (وجدتُ) في العمل فوجب أن يرفع بها فاعل وينصب

[1]- الإنصاف في مسائل الخلاف (مسألة 99)، ابن الأنباري، ج 1، ص 576.

بها مفعولين، كقولهم: (وَجَدْتُ زَيْدًا قَائِمًا) فترفع الفاعل وتنصب المفعولين، وإن قالوا: (إنَّها تعمل عمل الظَّرف وعمل (وجدتُ)، فترفع الأوَّل لأنَّها ظرف وتنصب الثَّاني على أنَّها فعل ينصب مفعولين، فباطل، لأنَّهم إن أعملها عمل الظَّرف بقي المنصوب بلا ناصب، وإن أعملها عمل الفعل لزمهم وجود فاعل ومفعولين، وليس لهم إيجاد ذلك سبيل.[1]

وقد تحدَّث "محمد آدم الزَّاكي" في رسالته المقدَّمة لنيل شهادة الدُّكتوراه عن المسألة الزَّنبورية وعن اختلاف الرُّوَّاة فيها، فأشار إلى أنَّ ما جاء في بعض الرِّوايات من اختلاف، وهو اختلاف كثير لا يؤثِّر على جوهر القضيَّة النَّحوية في المسألة الزَّنبورية ولا فيما انتهت إليه من نتائج إلَّا يسيرا، وذكر بعضهم أنَّ المناظرة كانت بطلب من "سيبويه" ألحَّ فيه على "يحي" في الجمع بينه وبين "الكسائي" بعد أن شرح له "يحي" ما قد يترتَّب على مناظرته لـ: "الكسائي" وهو زعيم القوم ومؤدِّب ولد أمير المؤمنين وقال له لا تفعل فإنَّه شيخ مدينة السَّلام وقارئها[2]، وقيل أنَّ المناظرة كانت عند البرامكة وقيل في دار الرَّشيد وقيل إنَّها بحضرة الأمين.

وتحدَّث عنها كذلك "أحمد صالح حميد" في مقال له بعنوان: "المسألة الزَّنبورية –دراسة مقارنة–" ورجَّح لهذه المسألة أنَّ الحقَّ مع "سيبويه"، والقرآن الكريم أصدق دليل شاهد له كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[4]، وله شواهد أخرى يدعِّم بها كلامه فلو ثبت النَّصُّ كنت أظنُّ أنَّ العقرب أشدُّ لسعة من

[1]– المصدر السَّابق، الجزء السَّابق، الصَّفحة السَّابقة.

[2]– النَّحو والصَّرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم، إعداد: محمد آدم الزَّاكي، إشراف: أحمد مكِّي الأنصاري، أطروحة دكتوراه، تخصُّص: لغة عربية، جامعة أمِّ القرى/المملكة العربية السُّعودية، كلِّية اللُّغة العربية، قسم الدِّراسات العليا، 1404هـ/1984م، ج 1، ص 74-76.

[3]– سورة الأعراف، الآية 118.

[4]– سورة طه، الآية 20.

الزَّنبور فإذا (هو إيَّاها) لكان خارجا عن القياس، واستعمال الفصحاء، وإن كان "الكسائي" حمله على القياس؛ حيث قال لـ: "سيبويه" (العرب ترفع كلّه وتنصبه) وقد أدلى علماء النَّحو.[1]

فالمناظرات إذن عامل لا يقلُّ أهمية عن العوامل الأخرى، ولا نُبالغ إذا قلنا هذه المناظرات قد دفعت بالنَّحو العربي إلى قمَّة التَّطوُّر والنُّموِّ والدِّقَّة، ذلك لأنَّ طبيعة هذه المناظرات كانت تعتمد على الدِّقَّة والنَّظر والبديهة واحتجاج قويٍّ وتعليل سليم، وأثَّرت في الدَّرس النَّحوي إلى أقصى درجة لأنَّها كانت تتمُّ عادة بين كِبار الدَّولة والنُّحَّاة بحُضور الشُّهود والحكَّام وكانت تحتوي على الآراء المتعارضة، بالإضافة إلى عدَّة مُناظرات أخرى، جرت بين عدد من النُّحَّاة نذكر منها:

- مُناظرة "الكسائي" و "اليزيدي".[2]
- مُناظرة بين "المازني" ونحَّاة الكوفة.[3]
- مُناظرة بين "المبرِّد" وَ "ثعلب".[4]

2/ المجالس:

وهذا مظهر آخر برزت على واجهته معالم الخلاف النَّحوي غير أنَّ الجدل النَّحوي في المجالس أهدأ، وأحكم، وأقرب إلى الحقِّ نظرا لبُعدها عن الإثارة التي تتوافر في مجال المناظرة، كما أنَّها بعيدة عن الهوى الذي يكثر في المناظرات التي يحضُرُها الخليفة أو شخص مسؤول ومرموق المكانة، والمجالس

[1]- المسألة الزَّنبورية دراسة مقارنة، أحمد صالح حميد، مجلَّة كلِّية العلوم الإسلامية، العدد (2/16)، 1435هـ/2014م، المجلَّد 9، ص 407.

[2]- ينظر: الأشباه والنَّظائر، السُّيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1403هـ/1983م، ص89.

[3]- ينظر: طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ج 1، ص 51.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 160.

نتج عنها ثروة لُغويَّة ونحوية في عصر الخِلافة بما أُثير فيها من مسائل بحثت من وجهة نظر مختلفة[1]، ومن هذه المجالس نذكر نموذج منها:

أ/ بين الرِّياشي وثعلب:[2]

قال "ياقوت": قال "أبو العبَّاس ثعلب": كُنت أسيرُ إلى "الرِّياشي"، لأسمع منه وكان نقيَّ العلم، فقال لي يوما، وقد قرئ عليه:

مَا تَنقَمُ الحَرْبَ العَوَانَ مِنِّي ★★★★★ بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيثُ سِنِّي.

لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي.

كيف تقول: (بازلُ) أو (بازلَ)، أو (بازلِ)، بالرَّفع على الاستئناف والخفض على الإتباع، والنَّصب على الحال فاستحى وأمسك، وقوله: (مَا تَنْقَمُ): ما استفهامية إنكارية منصوبة بِتنقم بمعنى تكرهُ، وقيد الحرب، بالعوان: مبالغة على شجاعته، والعوان: المحاربة الثَّانية، يريد التَّجربة في الحرب، والبازلُ من الإبل الذي تمَّ له ثماني سنين، ومعنى: بازل عامين: مرَّ عليه بعد نزوله عامان، وفي قوله: بازلُ، وجوه: الرَّفع على الاستئناف، خبر لمبتدأ محذوف أي: أنا بازل، والجرُّ على الإتباع أي بإبداله من ياء المتكلِّم في(منِّي)، والنَّصب على الحال: من ياء المتكلِّم أيضا في قوله (حديثُ سنِّي) فإذا نُوِّن حديثُ يكون سنِّي مضاف للياء فاعلا لحديث.[3]

---

[1]- ينظر: الخلاف بين النَّحويين (دراسة-تحليل-تقويم)، السَّيِّد رزق الطَّويل، الفصيلة، جامعة أمُّ القرى/مكَّة المكرَّمة، ط 1، 1405هـ/1984م، ص 94.

[2]- ينظر: نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحَاة، الطَّنطاوي، ص 61، ومجالس العلماء، الزَّجَّاجي، ص 59، وأنباه الرُّوَّاة، القفطي، ج 2، ص 262.

[3]- شرح أبيات مغني اللَّبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: عبد العزيز ربَّاح وأحمد يوسف دقَّاق، دار المأمون للتُّراث، بيروت، ط 1، 1393هـ/1441هـ، ج 2، ص 254.

3/ أثر هذه المناظرات والمجالس على الدَّرس النَّحوي:

كان لكثير من المناظرات والمجالس نتائج طيِّبة ومحمودة، انعكست على الحياة العلمية بصفة عامَّة، ولهذا فإنَّها من أقوى وسائل شيوع المعرفة واتِّساع مداها في تلك الفترة وقد انعكست آثارها على العلماء بصفة خاصَّة، يبدو ذلك فيما ظهر من جِدِّهم في تحصيل العلم، واجتهادهم في طلبه وكان لقدماء النُّحَّاة تعليقات على هذه المناظرات والمجالس تكشف عن وجهة نظرهم، يذكر "ابن هشام" تعليقا على مناظرة "الكسائي" وَ "سيبويه"، يُشير إلى ما وُجِّه لـ: "سيبويه" من أسئلة، وليس هذا ممَّا يخفى على أصاغر الطَّلبة، ولكن كما قال "أبو عثمان المازني" دخلتُ بغداد فأُلقيت عليَّ مسائل، وكنت أُجيبُ على مذهبي، ويخُطِّئونني على مذهبهم وهكذا اتَّفق لـ: "سيبويه" رحمه الله".[1]

كما أبدى "السَّيِّد رزق الطَّويل" رأيه، فهي عنده تحمل لمسات من الأهواء أو الاعتزاز بالسُّلطان أو التَّعصُّب للبلد، لكنَّها تحمل مظهرا من مظاهر الخلاف بين البصريين والكوفيين، وإنَّ هذا المظهر كان له شأن واعتبار، وعن طريق هذه المناظرات تبيَّنت مذاهب المدارس، كما أنَّ المجالس لبُعدها عن مجالس السُّلطان كانت أبعد عن التَّعصب والاستسلام للهوى.[2]

4/ كتب الخلاف النَّحوي:

والمظهر الثَّالث للخلاف وهو ظهور مُصنَّفات تتحدَّث عن الخلاف تُشير إلى بعض المسائل الهامَّة التي وقع فيها، وكثير من هذه الكتب مفقودة أو غير مطبوعة، وبتتبُّع ما أشارت إليه المراجع من

[1]- أمالي ابن الشَّجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي أبو سعادات بن الشَّجري، تح: الطَّنَّاحي محمود محمد، مكتبة الخانجي، ط 1، 1413هـ/1992م، ج 1، ص 32.

[2]- ينظر: الخلاف بين النَّحويين، السَّيِّد رزق الطَّويل، ص 96.

كتب عن الخلاف نتبيَّن أنَّ أقدم من ألَّف فيه "أحمد يحي ثعلب" الكوفي (ت 291 هـ)[1]، وسأذكر الكتب التي أُلِّفت عن الخلاف مرتَّبة حسب وفيات أصحابها:

- "المسائل على مذهب النَّحويين فيما اختلف فيه البصريون والكوفيون" لـ: "ابن كيسان" (ت 320 هـ)[2]، وقد ردَّ فيه على "ثعلب".
- "المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين" لـ: "أبي جعفر النَّحَّاس" (ت 338 هـ).[3]
- "الردُّ على ثعلب في اختلاف النَّحويين" لـ: "ابن دوستوريه" (ت 347 هـ).[4]
- "الاختلاف" لـ: "عبد الله الأزدي" (ت 348 هـ).[5]

رابعا/ آثار الخِلاف النَّحوي ونتائِجُه:

لقد نتج عن الخلاف بين النُّحَّاة آثار عديدة في ساحة الدَّرس النَّحوي وهذه الآثار أفادت الدَّرس النَّحوي، وتركت بصمات واضحة المعالم على اللُّغة العربية عامَّة والنَّحو خاصَّة، وتنقسم إلى آثار إيجابية، وأخرى سلبية وذلك لطول زمن الخلاف ممَّا جعله يشمل جلَّ أبواب النَّحو ومسائله، وبالطَّبع لم تكن آثار الخلاف كلُّها إيجابية ولم تكن كلُّها سلبية، وسوف أتتبَّع هذه الآثار من النَّاحيتين، ومن أهمِّها:

[1]- ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص 173.

[2]- المصدر نفسه، ص 178.

[3]- ينظر: طبقات النَّحويين واللُّغويين، الزَّبيدي، ص 220.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص 16.

[5]- ينظر: المصدر نفسه، ص 17.

1/ الآثار الإيجابية للدَّرس النَّحوي:

أ/ دور المناظرات والمجالس:

إنَّ إقامة المناظرات والمجالس كما سبق وذكرنا دلَّت على عنايتهم بتدقيق المسائل اللُّغوية والنَّحوية، وعلى تمسُّك كلُّ فريق منهم برأيه، وقد كسبت اللُّغة العربية من وراء ذلك الحجاج/النِّقاش احتجاجات لطيفة ودراسات خصبة انتفع بها المؤلِّفون في كُتُبِهم، فقد كان لها الأثر الفعَّال، إذ كانت بمثابة الوقود الذي يساعد على إشعال نار الاجتهاد والدَّأب على أشكال ما بقي من موادِّ هذا الفنِّ[1]، فتلك المنافسة بين العلماء كان هدفها الرَّغبة للوصول إلى الحقائق العلمية لا غير.

ب/ تأثير الخلاف في مسيرة الدِّراسات النَّحوية:

لقد تبيَّن ممَّا سلف أنَّ العلماء اختلفوا في فروع كثيرة جدًّا، وذهب كلُّ منهم ينصر مذهبه بأدلَّة عقلية على وفق منهجه، واشتدَّ الخلاف بينهما في ذلك طوالا خاصَّة لما كثرت الاضطرابات وظهور المناظرات، فتوافد العلماء بعد هذا على بغداد، وبما أنَّ النُّحَّاة كان لهم ميل كبير للخلفاء، بدأ النَّحو في بغداد، وكان كلُّ من يتطلَّع إلى الشُّهرة والمال يتَّجِه إلى بغداد ممَّا جعلها مقرًّا للمناظرات بين أعلام البصرة والكوفة، وظلَّ الحال هكذا حتَّى القرن الثَّالث الهجري، الذي انتهى بظهور "المبرِّد" آخر أعلام البصرة، وَ "ثعلب" آخر أعلام الكوفة في منتصف القرن الثَّالث الهجري، ممَّا جعل بغداد هي المجمع الأكثر تفهُّما وتعمُّقا، بعيدا عن التَّكلُّف والعصبيَّة؛ حيث كان الخلاف له مذاقا آخر بين النُّحَّاة، وله آثار أفادت الدِّراسات النَّحوية ومنها:

- **ظهور المدرسة البغدادية:** من أهمِّ آثار الخلاف النَّحوي لهذه المدرسة كونها تأخذ مذهب الاختيار والانتقاء بين المدرستين والخروج برأي مستقلٍّ، دون التَّعصُّب لأحدهما على الآخر وهذا ما أكَّده "المخزومي" بقوله: "فقد شهدت بغداد إذن عَلَمَيْنِ من

[1]- نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحَّاة، الطَّنطاوي، ص 33-34.

أعلام العربية وحدث أن أخذ البغداديون من هذين المدرستين وحاولوا التَّوثيق بين المذهبين وكان لوجودهما أثر كبير في تحوُّل الدَّارسين عن النَّحو الكوفي، لما امتاز به "المبرِّد" من ذكاء وقوَّة منطق وقدرة على الجدل".[1]

ونفهم من هذا القول أنَّ من وضع أسس هذا الاتِّجاه هم تلاميذ "المبرِّد" رأس الطَّبقة السَّابعة البصرية وتلاميذ "ثعلب" رأس الطَّبقة الخامسة، ويمكن القول أنَّ المدرسة البغدادية من أهمِّ آثار الخلاف النَّحوي، لأنَّ الزَّمان الذي نشأت فيه –المدرسة البغدادية– هو الزَّمان الذي تعمَّق فيه الخلاف بين العلماء، إذ تناول علمائها الخلافات القديمة وطوَّروها ممَّا أسهم في بلورة ما سُمِّي بمدرسة البصرة والكوفة.

- **أثر تلاقي العلماء في تنويع النِّزاعات إلى ثلاث:** كان لالتقاء العلماء في بغداد أثر في ظهور اتِّجاهات ونزاعات مختلفة في الدِّراسات النَّحوية، فعندما انكسرت حدَّة النَّزعة الحزبية عُرض العلماء على بِساط البحث والنَّقد، واستعرضوا دعائم القواعد التي تركَّزت عليها من الرِّواية والشَّواهد والأقيسة ليتعرَّفوا على مقدار هذه القواعد من الصحَّة والضُّعف حتَّى ينبني حكمهم في الاختيار على أساس غير منهار فاختلفوا، فكان منهم من غلبت عليه النَّزعة البصرية، ومنهم من غلبت عليه الكوفية ومنهم من جمع بين النَّزعتين، وهذا ما يثُبت قول "شوقي ضيف": "أمَّا الجيل الأوَّل فغلبت عليه النَّزعة الكوفية وهم الذين درسوا النَّحو البصري ومزجوا بين النَّحويين، أمَّا الجيل الثَّاني وهم الذين غلبت عليهم النَّزعة البصرية فكانت المدرسة البغدادية مزيجا من المقاربة بين المدرستين علاوة على اجتهاداتهم الخاصَّة"[2]، وقد قسَّم "ابن النَّديم" في "الفهرست"

[1]– مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنَّحو، مهدي المخزومي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مصر، ط 2، 1377هـ/1908م، ص 392.

[2]– المدارس النَّحوية، شوقي ضيف، ص 369.

(المقالة الثَّانية) هذه الاتِّجاهات إلى فنون ثلاثة: "الفنُّ الأوَّل في البصريين، والثَّاني في الكوفيين، والثَّالث في الخالطين بين المذهبين، فكان لهذا التَّعدُّد في الاتِّجاهات أثر واضح على تعدُّد الآراء النَّحوية وكلُّ واحد يأخذ بما يراه مناسبا وقريبا لفهمه وتصوُّره".[1]

- **انتشار الدِّراسات النَّحوية في مصر والشَّام والأندلس:** وهذا ميدان آخر يتجلَّى فيه مدى تأثير الخلاف في حركة انتشار الدِّراسات النَّحوية في الأمصار الإسلامية:

قد سبق وتحدَّثنا عن اتِّجاهات الدِّراسات النَّحوية في بغداد وكانت السَّبَّاقة لذلك لظروفها الجغرافية والتَّاريخية واتِّصالاتها الوثيقة بالجزيرة العربية ومركزُها في العالم الإسلامي، تلتها مصر وكانت أسبق من الشَّام إلى هذه الدِّراسة، لأنَّ الشَّام كان مشغولا بالدِّراسات الإسلامية كالحديث وقراءات القرآن، وأكثر صلته بالفصيحة فلم يشعر بحاجة ماسَّة لهذه الدِّراسات منذ نشأتها[2]، أمَّا مصر فقد اهتمَّت بالدِّراسات النَّحوية منذ نشأتها الأولى وكان في مصر نحَّاة قدماء مشهورون وكانت نزعتهم المذهبية في دراسة النَّحو مرتبكة بنزعة شيوخهم.

- **الدِّراسات النَّحوية في الأندلس والمغرب:** وهذا ميدان ثالث يرينا مدى تأثير الخلاف في حركة النَّحو العربي في بلاد المغرب والأندلس؛ حيث تأخَّر دخول النَّحو إلى المغرب والأندلس لبُعد المسافة بينهم وبين المشرق وكان المغرب أسبق من الأندلس إلى هذه الدِّراسات، ويمكننا أن نقول أهمَّ ما ميَّز هذه الدِّراسات هو دخول كتاب "سيبويه" إلى قرطبة وشرحه والتَّعليق عليه واعتنوا به إلى أن وصل الى "ابن الضَّائع" الذي شرحه وأبدى فيه مشكلات عجيبة.[3]

---

[1]- الاختلاف بين النَّحويين، السَّيِّد رزق الطَّويل، ص 541.

[2]- الخلاف النَّحوي، رزق طويل، ص 551.

[3]- الأشباه والنَّظائر، السُّيوطي، ج 1، ص 304.

إذن وبعد أن عرضت تأثير الخلاف في مسيرة الدِّراسات النَّحوية في الأمصار الإسلامية يتبيَّن لنا أنَّ التَّأثير كان واضحا وعميقا، فالنَّحو نُقل إلى هذه الأمصار مصبوغا بالصِّبغة البصرية أو الكوفية على حدٍّ سواء، ثمَّ يتحوَّل إلى البغدادية التي تُعتبر الاتِّجاه المفضَّل عند نحَّاة الأمصار وذلك لعدم تعصُّبها لإحدى المدرستين.

ج/ مؤلَّفات نحوية جديدة:

مكَّنت مؤلَّفات الباحثين في العربية ونحوها من الاطِّلاعِ على إنتاجِ العلماء في مُختلف العصور وكذا تتبُّعِ مسيرة النَّحو العربي على مرِّ الحِقب والعُصور، فقد أسهم كثير من العلماء المتأخِّرين في تطوُّر الدَّرس النَّحوي بما أَبْدَوْهُ من مُناقشة وحوار مع النُّحَاة القدماء ثمَّ تفرَّدوا بآراء تكوَّنت بها شخصياتهم النَّحوية، فقد كانت لهم جهود خاصَّة أسهمت في تطوُّر النَّحو العربي.

د/ التَّنقية النَّحوية أو اللُّغوية:

اختلاف النُّحَاة في تقعيد اللُّغة أضاف إلى النَّتائج السَّابقة التَّنقية اللُّغوية، وذلك عند شيوع اللَّحن في الدِّراسات النَّحوية منذ أوائل القرن الأوَّل الهجري، وكان ذلك حافزا لبداية النَّشاط النَّحوي وظلَّ النُّحَاة يقاومون تيَّار اللَّحن بهذا الأسلوب على أساس السَّماع من الفصحاء والقياس عليها، وأيَّ لفظة فيها انحراف لا يقبلونها، وفي النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني ظهرت مدرسة الكوفة بمنهج جديد لتؤدِّي رسالة ألا وهي الحفاظ على لغة القرآن بجانب مدرسة البصرة وكان الخلاف بينهما تبعا لاختلاف المناهج وسارت التَّنقية اللُّغوية بين هذين التيَّارين وتأثَّرت بعُنف هذا الاختلاف[1]، وكلٌّ من التِّيارين حاولوا محاربة اللَّحن وذلك من خلال جهودهما حول وضع كُتب تترصَّد للَّحن وتُنبِّه إليه.

[1]- الخلاف بين النَّحويين، السَّيِّد رزق، ص 601.

هـ/ اكتمال النَّحو والصَّرف:

كان لاكتمال صرح النَّحو والصَّرف، وتشعُّب مسائله وكثرة مُؤلَّفاته نتيجة التَّنافس بين النُّحَّاة، وكان ذلك على الطَّورين، الطَّور الأوَّل على يد "سيبويه" وَ "الكسائي"، أمَّا الطَّور الثَّاني فكان نتيجة وتتويجا للطَّور الأوَّل؛ حيث أكملوا ما فات من السَّابقين، وشرحوا محلَّ كلامهم، وبسَّطوا ما يستحقُّ البسط، وهذَّبوا التَّعريفات، وأكملوا وضع المصطلحات، ولم يتركوا شيئا من النَّحو إلَّا نظَّروه، ولا أمرا من غيره إلَّا وصلوه وكان ذلك أن انفصل النَّحو عن الصَّرف، وأوَّل من سلك هذا السَّبيل "المازني"، فقد ألَّف في الصَّرف وحده، وشقَّ الطَّريق لمن بعده، كما أنَّ التَّأليف في النَّحو كان أكثر، حتَّى استوى قائما على قدميه، فنمت أصوله وانتهى الاجتهاد فيه على يد الإمامين: "المبرِّد" خاتم البصريين، وَ "ثعلب" خاتم الكوفيين.[1]

2/ الآثار السَّلبية للخلاف:

أ/ طُغيان المنطق والفلسفة على الدِّراسات النَّحوية وإصابتها بالجمود:

وجد النُّحَّاة من مبادئ المنطق والفلسفة سندا لآرائهم وحججا يقفون بها في وجه خصومهم وقد ابتعدوا عن الأسلوب الصَّحيح لدراسة اللُّغة، ونرى كذلك نحَّاة البصرة كانوا الأحرص على هذه الفلسفة وأمهر فيها من نحَّاة الكوفة، ولعلَّ من المؤكَّد أنَّ هذه الفكرة تؤيِّد قول "شوقي ضيف": "إنَّ عقل البصرة كان أعمق من عقل الكوفة، وكان أكثر استعدادا لوضع العلوم، إذ سبقتها إلى الاتِّصال بالثَّقافات الأجنبية، وبالفكر اليوناني وما وضعه "أرسطو" وَ "طاليس" من المنطق وأقيستهِ".[2]

[1] – نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحَّاة، الطَّنطاوي، ص 35-37.

[2] – المدارس النَّحوية، شوقي ضيف، ص 22.

وأضاف قائلا: "إنَّ التَّأثير الفلسفي في البصريين كان أسرع من تأثُّر الكوفيين به وبقيَّة الأمصار، فزخرت البصرة بتيَّارات الفلسفة اليونانية، وظهرت اتِّجاهات المعتزلة الذين كانوا أسرع استقبالا لهذا المنهج من أهل الجدل".[1]

وما يتَّضح لنا من هذين القولين أنَّ مدرسة البصرة فاقت مدرسة الكوفة وكانت السَّبَّاقة في الاتِّصال بمبادئ المنطق والفلسفة؛ حيث أصبح النَّحو يقتبس من المنطق فجعلوا للقياس المنطقي شأنا كبيرا في وضع قواعدهم، وذلك يظهر من خلال اعتمادهم القياس وهو أحد الأصول التي قامت عليها الدِّراسات النَّحوية.

ومن ثمَّ كان للفلسفة والمنطق الأرسطي دور في التأَّثير على الدِّراسات النَّحوية، لكنَّه تأثير سلبي كان سببا في البعد عن دراسة النَّحو فنتج عن هذا التَّأثُّر شيء آخر وهو تعدُّد الآراء، واشتداد الصِّراع العقلي، حتَّى إنَّنا نرى الرَّأي وضدَّه في المسألة الواحدة، كما امتزجت قواعد النَّحو باصطلاحات المنطق وعلل الفلاسفة وما يؤكِّد هذه الظَّاهرة "عبد الرَّحمن أيوب" بقوله: "لقد وقع النَّحويون في هذا الخطأ، وأعني تقسيم الكلمة إلى أقسام ثلاثة، لأنَّهم كانوا مُتأثِّرين بالفلسفة الإغريقية من الموجودات أكثر ممَّا كانوا يدرسون خصائص الألفاظ اللُّغوية ذاتها".[2]

يتَّضح لنا من هذه الأقوال الوضع الذي آلت إليه الدِّراسات النَّحوية، ويمكن أن نعتبره نتيجة من النَّتائج المتعدِّدة التي خلَّفها هذا الصِّراع.

ب/ تغلُّب نزعة القياس وتحوُّل الدِّراسات اللُّغوية النَّحوية إلى صناعة:

يُشير الدَّارسون أنَّ العرب ينظرون إلى الدِّراسات النَّحوية باعتبارها صنعة جديدة جدَّت في الحياة مادَّتها الكلام العربي، وإطلاق لفظة الصِّناعة عليها دلالة واضحة على تمسُّك النُّحَاة بالقياس

[1]- المرجع السَّابق، ص 23.

[2]- الخلاف النَّحوي، السَّيِّد رزق طويل، ص 574.

واهتمامهم به، يقول "الزَّبيدي" عن "الخليل": "وهو الذي بسَّط النَّحو، ومدَّ أطنابه، وسبَّب علله، وفتق معانيه وأوضح الحِجاج فيه حتَّى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غاياته".[1]

وكتاب "سيبويه" خير شاهد على أثر القياس في الدِّراسات النَّحوية، حتَّى إنَّه اعتبر أصلا من أهمِّ أصولها، وكان من نتيجة تسابق النُّحَاة على القياس أن تغلَّب على الدِّراسات النَّحوية وتحوَّلت إلى صنعة تعتمد على نشاط العقل أكثر ما تعتمد على الواقع اللُّغوي لحياة المتكلِّمين، وخاصَّة عندما جاءت مدرسة بغداد فقوى على يدها هذا الاتِّجاه، وتندرج تحت هذه النَّتيجة ثلاثة ملامح نوردها فيما يلي:

- **البعد عن الواقع اللُّغوي كثيرا، وتخطئة الأعراب:** يرصد لنا "عبد الرَّحمن أيوب" أقوال النُّحَاة حول هذه الآية ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٤٦﴾﴾[2]، استبعد النُّحَاة أن يكون (رَاغِبُ) خبر مقدَّم لأنَّه يترتَّب عليه الفصل، أمَّا إعراب (أَرَاغِبُ) مبتدأ وَ (أنت) فاعل سدَّ مسدَّ الخبر فلا فصل حينئذ بأجنبي، ثمَّ ينتهي إلى قوله: عرضتُ لك هذين الإعرابين مثالا على عدم واقعية التَّفكير النَّحوي، والذي لا شكَّ فيه أنَّ هذا المثال الأخير يُظهر كيف يهتمُّ النَّحوي بقاعدته أكثر ممَّا يهتمُّ بالواقع اللُّغوي[3]، وما نستنتجه أنَّ القياس النَّحوي مع الخلاف بين النُّحَاة انتهى بالنَّحو إلى أن أصبح قواعد لا تعتمد كثيرا على الواقع اللُّغوي.
- **اللُّجوء إلى التَّمارين غير عملية لتنمية القياس:** وهذه الظَّاهرة تُؤكِّد الظَّاهرة الأولى وهي البُعد عن الواقعية، ومن أبرز الأدلَّة على بُعد النُّحَاة عن الواقعية تنافس المدارس في صناعة الأمثلة واختلاف الصِّيغ التي تُؤكِّد القياس، والمتتبِّع لأمثلة النُّحَاة يجد أنَّهم

[1]- المزهر في علوم اللُّغة، السُّيوطي، ص 64.

[2]- سورة مريم، الآية 46.

[3]- الخلاف بين النَّحويين، السَّيِّد رزق الطَّويل، ص 580.

يلجؤون لأمثلة محدودة لتوضيح القاعدة، وكان ميدان التَّصريف هو أوسع ميدان أظهر فيه النُّحَّاة مهارتهم، فتجدهم يقولون: ضع من (رأى) على وزن كذا[1]، والأمثلة الافتراضية في نظر "السَّيِّد رزق" ظاهرة خاطئة، كما يذكر "شوقي ضيف" عن نظرية العامل: "لأنَّ من واجب النَّحوي أن يُسجِّل ما وجد في اللُّغة فعلا من صيغ وعبارات، لا أن يفترض هو صيغا وأحوالا للعبارات لن ترد في اللُّغة"[2]، وما يتبيَّن لنا من قول "شوقي ضيف" أنَّه يدعو النُّحَّاة إلى الاستناد على السَّماع من الكلام العربي والابتعاد على التَّأويل لأنَّ السَّماع حجَّة.

- **ظاهرة الاتِّساع في الجواز:** اتَّسعت ظاهرة الجواز وفشَّت لأنَّ أقوالا كثيرة يسندها تجويز العقل واحتمالاته، فلو رجعنا إلى المسائل الجزئية للخلاف وهي نحو أربعمائة وخمسين مسألة، نجد في أكثرها يجوز عن الكوفيين كذا، ولا يجوز عند البصريين والأمر كذلك عن النُّحَّاة، فـ "أبو العلاء المعرِّي" كان واسع الرِّواية، سماعيا إلى أبعد حدود السَّماع، وكان يضيق بنحو البصرة الذي كان في عهده ممتلئا بالجدل والقياس والتَّعليل، وتبدو عنده الظَّاهرة واضحة في كتبه وخاصَّة رسالة الغفران[3]، فالمنهج الكوفي يحتفي بكلِّ مسموع ويُقيم قاعدة عليه ومن هنا تكثر القواعد وتتَّسع دائرة الجواز.

ج/ تغيير الرِّوايات وكثرتها:

كان للرِّواية شأن في حياة العرب العقلية فكانت مرجعهم في أخبارهم وأنسابهم وآثارهم الأدبية، وكان لتغيير الرِّوايات وكثرتها أساب كثيرة، منها الرُّوَّاة غير الموثوق بروايتهم كـ: "خلف الأحمر"، وَ "حمَّاد الرَّاوية"، ومنها ميل العرب إلى المعنى يجعلونه أساسيا، وقد يروون الأثر بالمعنى،

[1]- المرجع السَّابق، ص 584.

[2]- الرَّدُّ على النُّحَّاة، ابن مضاء القرطبي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 2، (د ت)، ص 51.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص 600.

ومنها أنَّ الرَّاوي قد يروي قصيدة ويتصرَّف في بعض ألفاظها ويرويها طبقا للهجته وطبيعته التي درج عليها في النُّطقِ والأداءِ[1]، وهذا ما أكَّدهُ "ابن سلَّام الجمحي" في "طبقات الشُّعراء": "كان أوَّل من جمع أشعار العرب وساق أحاديثا "حمَّاد الرَّاوية" وكان غير موثوق به، كان ينحل شعر الرَّجل غيره ويزيد في الأشعار".[2]

يتبيَّن لنا أنَّ أسلوب الرِّواية كان له دور كبير، هذا ما أدَّى بالشُّعراء إلى الزِّيادة في رواية الأشعار ممَّا كثر النَّحل واختلط الشِّعر بعضه بعضا.

د/ اضطراب الآراء وعدم الوقوف على الحقيقة:

ذكر بعض الدَّارسين أنَّ اضطراب الآراء النَّحوية وكثرتها كانت نتيجة للخلاف، فقد كان صاحب الإنصاف حريصا على تسجيل جميع الآراء بين المدرستين، بل كان يسجِّل آراء مختلفة في المدرسة الواحدة كآراء "الخليل" مع "سيبويه" وَ "الأخفش"، كما سجَّل آراء مُنفردة لـ: "الكسائي" وَ "الفرَّاء" من الكوفيين، وليس صاحب "الإنصاف" وحده، بل نجدها عند "ابن مالك" وَ "ابن يعيش" وغيرها من الكتب.

والعجيب في الأمر أنَّنا نجد بعضا من المسائل التي اختلف فيها سابقا، جاء اللَّاحقون وتناظروا فيها ثانيا ونؤكِّد هذه الفكرة بما قاله "الطَّنطاوي" في هذا المقام: "... أنَّ بيتا يحدث فيه خلاف بين السَّابقين مشهور متعالم تتناقله الكتب أخيرا، ثمَّ نجد بعد ذلك مناظرة فيه يخفق فيها أحد المتناظرين، وتناقلتها كتب أخرى".[3]

---

[1]- القواعد النَّحوية مادَّتها وطريقتها، عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 2، 1952م، ص 209-211.

[2]- طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحي، ج 1، ص 23.

[3]- نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحَاة، الطَّنطاوي، ص 60.

ما يُمكن قوله أنَّ بالرَّغم من الآثار التي تركها الخلاف على الدَّرس النَّحوي، والتي تجلَّت في إقحام النَّحو في أساليب التَّأويل والتَّقدير التي أدَّت به أحيانا إلى التَّعقيد والغموض، حتَّى أنَّه وُصف بالجمود، واعتماد النُّحَّاة الفلسفة والمنطق التي حملت بهم إلى الإسراف في الافتراض والتَّعليل، إلَّا أنَّه خلق نشاطا فكريًّا بان أثره في كثرة التَّآليف النَّحوية التي وإن دلَّت على شيء فإنَّما تدلُّ على خصوبة العقل العربي وإبداعه.

أقول أيضا إنَّ علماءنا المعاصرين قد استفادوا كثيرا في ما قدَّموه من آراء ونظريات في اللُّغة، من الخلاف بين نحَّاتنا القدماء وقد كان لذلك أثر ملحوظ في تقدُّم الدَّرس العربي ورقيِّه واستمرار التَّطوُّر فيه قويا.

تقويم عامٌّ:

إذن وبَعد هذا العرض لتأثير الخلاف في الدِّراسات النَّحوية، كان هدفي من هذا الباب -وبالاطِّلاع على كُتب النَّحو- الكشف عن الأسباب الحقيقية التي كان لها دور هامٌّ في توسيع دائرة الخلاف والوقوف على الآثار التي خلَّفها على الدَّرس النَّحوي، فلمَّا كان كتاب "سيبويه" كتابا نحويًّا هامًّا في المكتبة العربية لما تميَّز به من عرض المسائل النَّحوية والصَّرفية وقبل الشُّروع إلى بحر الموضوع حول تجلِّيات الاختلافات في الكتاب كان لا بدَّ لي أن أتتبَّع بداية النَّحو وظهور الخلاف النَّحوي إلى أن وصل إلى أكمل وجه في الكتاب ومن خلال هذا الباب توصَّلت إلى حوصلة من النَّتائج أهمُّها:

- النَّحو عمل على تطوير اللُّغة وحمايتها من الضَّياع، لذا كان له نصيب من الدِّراسات المتعدِّدة، فلا يُمكن إرجاعه إلى "سيبويه" وحده لأنّهَ ليس عمل فرد أو أفراد وإنَّما هو عمل لجماعات، وثمرة جهود متضافرة لكثير من الدَّارسين الذين تعاقبوا على هذه الدِّراسة.

- نتج عن تطوُّر علم النَّحو أن استقلَّ علما قائما برأسه، وصار مجالا من مجالات الثَّقافة فتشعَّبت مسائلُهُ وكثر القائلون فيه، ومن ثمَّ برزت خلافات بين المشتغلين به فانبثقت من الأصل فروع سُمِّيت فيما بعد مذاهب نحوية.
- ظاهرة الخلاف النَّحوي برزت بشكل واضح عند رجال الطَّبقة الثَّانية من نحَّاة البصرة، عند ظهور ظاهرة القياس التي تعتبر النَّواة الأساسية للخلاف النَّحوي.
- كان للمناظرات أثر فعَّال خاصَّة المسألة الزَّنبورية التي دفعت بالنَّحو العربي إلى التَّطوُّر والرُّقيِّ.
- لا يعني الخلاف السَّلب دائما فقد أدَّى إلى إثراء خزينة العلوم العربية النَّحوية، وولَّد روح الاجتهاد.

الفصل الثَّاني:

الاختلافات النَّحوية بين الخليل ويونس

في كتاب سيبويه

تمهيد:

النَّاظر في كتاب "سيبويه"، يرى أثر شيوخه واضحا من خلال ذكر أسمائهم والإفادة منهم في الرِّواية والتَّوجيه والتَّعليل والاستنباط ومناقشة الآراء وبناء الأحكام وغيرها. ويظهر لكلِّ من يقلِّب صفحات هذا الكتاب أنَّه قد ذكر اسم "الخليل" واسم "يونس"، ممَّا جعل محقِّق الكتاب "عبد السَّلام هارون" يرصد لنا أرقام المواطن التي ورد فيها اسمهما بحجَّة أنَّ اسمهما قد كثر في الكتاب وإن كان "الخليل بن أحمد" هو أبرز ما نقل عنه "سيبويه" وأفاد منه، فإنَّ "يونس بن حبيب" يأتي ذكره والنَّقل عنه في المرتبة الثَّانية، فقد نقل "سيبويه" عنهما أبوابا كاملة في النَّحو والصَّرف. كما رصد لنا مواطن الاختلاف بين شيخيه في العديد من المسائل ولم تكن هذه الاختلافات مباشرة في شكل مناظرات، وإنَّما صوَّرها "سيبويه" وجمعها، فظهرت على هيئة مناقشات علمية ومناقذات فكرية، وهذا ما سأتطرَّق إليه في هذا الباب من خلال ذكر مسائل خلافية نحوية بين "الخليل بن أحمد" وَ "يونس الضَّبي".

1/ مسألة العطف ب (أو):

من المعروف أنَّ العطف هو تابع يتوسَّط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف، وهناك نوع من هذا العطف يسمِّيه النُّحَاة "عطف التَّوهُّم" وجاء في "لسان العرب" التَّوَهُّمُ بمعنى التَّخَيُّلُ[1]، لكن "الرُّماني"[2] وصفه بالتَّأويل وهو الحمل على معنى الكلام يخالف المذكور في الإعراب ويوافقه في المعنى حتَّى إنَّ بعض النُّحَاة يسمِّيه العطف على المعنى، وحول هذا العطف اختلف "يونس" وَ "الخليل" في قول الأعشى:

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج 15، ص 415.

[2]- شرح كتاب سيبويه لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني، إعداد: سيف بن عبد الرَّحمن بن ناصر العريفي، إشراف: تركي بن سهو العتيبي، أطروحة دكتوراه، تخصُّص: نحو وصرف وفقه اللُّغة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/المملكة العربية السُّعودية، كلِّية اللُّغة العربية، قسم النَّحو والصَّرف وفقه اللُّغة، 1418 هـ/1998م، ص 431.

إِنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبَ الخَيْلُ عَادَتُنَا ★★★★★ أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرُ نُزُلُ

يقول "سيبويه": وسألت "**الخليل**"... فقال الكلام هاهنا على قولك يكون كذا أو كذا، لما كان موضعها لو قال فيه أتركبون لم ينقض المعنى، صار بمنزلة قولك: ولا سابقٍ شيئا، وأمَّا "**يونس**" فقال: أرفعه على الابتداء كأنَّه قال: أو أنتم نازلون...، وقول "يونس" أسهل، وأمَّا "الخليل" فجعله بمنزلة قول "زهير":

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكٍ ★★★★★ وَلَا سَابِقٍ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيًا.

والاشتراك على هذا التَّوهُّم بعيد كبعده ولا سابق ولا شيئا.[1]

يقول "الخطيب التَّبريزي" في شرحه لهذا البيت: "إن طاردتم بالرِّماح فتلك عادتنا وإن نزلتم تجادلون بالسُّيوف نزلُنا ونزلُ بضمَّتين جمع نازلٍ ونزولهم عن الخيل يكون عند ضيق المعركة ينزلون فيقاتلون على أقدامهم وفي ذلك الوقت يتداعون نزالا".[2]

والشَّاهد في رفع تنزلون حملا على معنى إن تركبوا، فقد ذكر "سيبويه" بأنَّ قول "الخليل" على تقدير: أو تركبون أو تنزلون، أي: تنزلون معطوف على إن تركبوا وهو المسمَّى عطف التَّوهُّم وجعله بمنزلة قول "زهير":

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكٍ ★★★★★ وَلَا سَابِقٍ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيًا.

فجرُّ سابق على توهُّم دخول حرف الجر على مدرك فكأنَّه قال لست بمدرك فعطف إذن تنزلون على كلام منبثق في ذهنه وليس بظاهر، كأنَّه قال: "أتركبون فذلك عادتنا أو تنزلون في معظم الحرب، فنحن معروفون بذلك وقال "الأعلم"، الشَّاهد في رفع تنزلون حمله على معنى إن تركبوا"[3]،

[1]- ينظر: الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 51.

[2]- خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب، البغدادي، ج 8، ص 554.

[3]- المصدر نفسه، الصَّفحة نفسها.

فجعل الخبر، كأنَّه وقع على موقع الاستفهام كأنَّه قال: أتركبون أو تنزلون؟ وكما هو واضح دخول إن الشَّرطية الجازمة على الفعل المضارع (تركبوا) فعملت به على ما يقتضيه القياس، وفي الشَّطر الثَّاني وبعد (أو) العاطفة كان ينبغي أن يأتي بعدها فعل مجزوم بالعطف على الفعل (تركبوا)، لكن جاء فعل مضارع مرفوع وهو (تنزلون) فكان يجب أن يكون حكمه الذي هو حذف النون للجزم، لأنَّه معطوف على الفعل المجزوم بأداة الشَّرط وهو تركبوا، فهو أراد أن ينوي بالشَّرط الاستفهام، وكما أنَّ الاستفهام يجاب فالشَّرط كذلك يجاب.

فسَّر "الرَّضي" (ت 686 هـ) قول "الخليل" فقال: "عند الخليل محمول على المعنى، أي: تركبون أو تنزلون، كقوله:

مَشَانِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ★★★★★ وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بِبَيْنِ غُرَابِهَا".[1]

يسمَّى العطف على التَّوهُّم العطف على المعنى، نجد "ابن السراج" (ت 316 هـ) "يتحدَّث عن مسألة العطف في العربية، واستعمل مصطلح العطف على المعنى وقصد به العطف على الموضع، وأفرد لذلك بابا في كتابه "الأصول في النَّحو" غير أنَّه أشار إلى حمل بعض الشَّواهد الشِّعرية على عطف التَّوهُّم".[2] كما في قول الشَّاعر: وَلَا سَابِقٍ شَيْئًا.[3]

والعطف يعدُّ ظاهرة واسعة جدًّا في العربية. كما وصفها "ابن جنِّي" (ت 392 هـ) ولهذا سمِّي العطف على التَّوهُّم في القرآن العطف على المعنى تأدُّبًا.[4]

---

[1]- النِّهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجزري، تح :طاهر أحمد الزّاوي/محمود محمد الطنَّاحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د ط)، 1399هـ، ج 3، ص 602.

[2]- الأصول في النَّحو، ابن السرَّاج، تح: عبد الحسين الفتلي، مطبعة النُّعمان، النَّجف الأشرف، (د ط)، 1973م، ج 2، ص 61-62.

[3]- المصدر نفسه، ج 1، ص 352.

[4]- ينظر : الخصائص، ابن جنِّي، ج 2، ص 425.

أمَّا قول "يونس" فيرفعه على الابتداء، كأنَّه قال: أو أنتم نازلون، يقول "الشَّنتمري" شارحا قول "سيبويه": "ذكر "سيبويه" عن "الخليل" أنَّ هذا محمول على المعنى كأنَّه قال: أتنزلون أو تركبون، وذكر عن "يونس" أنَّه يرفعه على الابتداء كأنَّه قال: أو أنتم تنزلون وجعل قول "يونس" أسهل وفيه قول ثالث هو أسهل من هذين القولين، وهو أن تقدِّر في موضع (أن تركبوا) بمعنى إذا تركبون عطفنا أو تنزلون عليه في التَّقدير".[1]

وما نلاحظه من قول "الشَّنتمري" وبعد أن شرح رأي "الخليل" وَ "يونس" أضاف رأيا ثالثا وهو تقدير في موضع (أن تركبوا) بمعنى (إذا)، أي أنَّ: (إذا) وَ (أَنْ) يجازى بهما فهما متقاربان.

استند "ابن عطية" (ت 542 هـ) على رأيه في تخريج بعض الشَّواهد منها قراءة "النَّخعي"[*] وَ "طلحة بن مصرف" برفع الكاف لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠﴾.[2] يرفع يدركه، وخرَّجها "ابن جنِّي" على إضمار المبتدأ، أي: ثمَّ هو يدركه الموت فعطف جملة اسمية على جملة فعلية، وهي جملة الشَّرط: الفعل الجازم المحذوف وفاعله.[3]

[1]- النَّكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشَّنتمري، تح: رشيد بن حبيب، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط 1، (د ت)، ج 1، ص 368.

[*]- النَّخعي: هو الإمام الحافظ فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد (النَّخعي) اليماني ثمَّ الكوفي، ولد سنة 47 هـ وتوفِّي سنة 96 هـ وهو أحد روَّاة الحديث النَّبوي.

[2]- سورة النِّساء، الآية 100.

[3]- ينظر: المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تح: الرحالة الفاروق/عبد الله بن إبراهيم الأنصاري/السَّيِّد عبد العال السَّيِّد إبراهيم/محمد الشَّافعي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1413هـ، ج 2، ص 120.

كما نلتمس ذلك في قول "رويشد الطَّائي":

إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأْتِينِي بَقِيَّتُكُمْ ★★★★★ فَمَا عَلَى بِذَنْبٍ مِنْكُمْ فُوتُ.

أي: ثمَّ أنتم تأتيني، وهذا أوجه من أن يحمل على أن يأتيني، فقلتَ: يريد أنَّه لا يحمل على إهمال الجازم، فيرفع الفعل بعده.[1]

ورجَّح "أبو الحسن" قول "يونس": "إنَّما قوله أسهل لأنَّ الجزاء لا يقع موقع الاستفهام وإنَّما تقع حروف الاستفهام مواقع حروف الجزاء فيجازى بها نحو (أين) في قوله:

أَيْنَ تَسْلُكُ بِنَا العُدَاةُ تَجِدُنَا

وحروف الجزاء لا يستفهم بها".[2]

ونلاحظ أنَّ "سيبويه" في هذه المسألة استبعد رأي "الخليل" كما يستبعد التَّوهُّم في (ولا سابق شيئا) ووصف العطف على التَّوهُّم بأنَّه غلط وأنَّه لغة رديئة، يقول: "وزعم "أبو الخطَّاب" أنَّ ناسا من العرب يقولون: ادعه من دعوت فيكسرون العين كأنَّها لما كانت في موضع جزم توهَّموا أنَّها ساكنة وهذه اللُّغة رديئة، وإنَّما هو غلط كما قال "زهير" ولا سابقٍ شيئا".[3]

وذهب "الرَّضي" إلى مذهب ثالث، إذ يرى أنَّ (أو) للإضراب الذي هو رفع الفعل تنزلون ولا ضرورة لذلك فقال: "وقال "يونس" هو على القطع، أي: بل أنتم نازلون، وَ (أو) بمعنى (بل) كما

[1]- المصدر السَّابق، الصَّفحة السَّابقة.

[2]- التَّعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي، تح: عوض بن محمد القوزي، جامعة الملك سعود/الرِّياض، ط 1، 1991م، ج 2، ص 167.

[3]- الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 155.

يجيء في حروف العطف كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾.[1] أي بل هم يزيدون".[2]

إلَّا أنَّ أغلب النُّحَاة وصفوا قول "يونس" بالأسهل ورجَّحوا رأيه، هذا ما ذهب إليه "الأعلم" في قوله: "وهذا أسهل في اللَّفظ، وأصحُّ في المعنى والنَّظم، وَ "الخليل" ممَّن يأخذوا بصحَّة المعاني ولا يبالي باختلال الألفاظ"[3]، ونفهم من هذا القول أنَّ "الخليل" اهتمَّ بالمعنى ولم يهتم باللَّفظ والأصحُّ أن يوافق اللَّفظ للمعنى.

2/ مسألة (وَحْدَهُ) حال أم ظرف:

كثيرا ما نردِّد لفظة (وَحْدَهُ) في كلامنا كقولنا: "لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له"، وهذا يعني أنَّنا أفردناه بالوحدانية، وفي قولنا: "حَمَدْتُ الله وَحْدَهُ" يعني ذكرته على انفراده؛ حيث كان هذا اللَّفظ (وَحْدَهُ) محلَّ خلاف بين "الخليل" وَ "يونس"، والسُّؤال الذي يفرض نفسه: هل (وَحْدَهُ) تدلُّ على الزَّمان والمكان أم أنَّها حال؟

يقول "سيبويه": "وجعل "**يونس**" نصب وحده، كأنَّك قلت: مررتُ برجل على حِياله، فطرحتَ "على" فمن ثمَّ قال: هو مثل: عندهُ، وهو عند "**الخليل**" كقولك: مررتُ بهِ خصوصا".[4]

ومن هذا القول يتبيَّنُ لنا أنَّ "يونس" ذهب إلى إسقاط حرف الجر وقاس (وَحْدَهُ) على (حِيَالِهِ) وَ (عِنْدَهُ)، فهو منصوب عنده على الظَّرفية، في حين ينصبه "الخليل" على الحال، فقد اختلف في

[1]- سورة الصَّافات، الآية 147.

[2]- شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب، الرَّضي، تح: حسين بن محمد الحفظي، نشر إدارة الثَّقافة والنَّشر، جامعة الإمام ابن سعود/المملكة العربية السّعودية، (د ط)، (د ت)، ج 4، ص 74.

[3]- خزانة الأدب، البغدادي، ج 8، ص 554.

[4]- الكتاب، سيبويه، ج 1، ص 446.

تفسير ما ذهب إليه "يونس": نجد "ابن يعيش" يوضِّح رأيه بقوله: "إذا قُلْتَ: مَرَرْتُ بِهِ وَحْدَهُ، فهو بمنزلة (موحَّدا أم منفردا) وتجعله للمرور به وَ "ليونس" فيه قول آخر أنَّ (وَحْدَهُ) معناه: (على حِيَالِهِ)، إذا كان الظَّرف صفة أو حالا، قدِّر فيه مستقرٌّ ناصب للظَّرف، وهو مستقرُّ الأوَّل، واعلم أنَّ (وَحْدَهُ) لم يستعمل إلَّا منصوبا إلَّا ما ورد شاذًّا".[1]

وأبرز ما يلاحظ على كلام "ابن يعيش" أنَّه فسَّر (وَحْدَهُ) تفسيرا مرتبطا بالظَّرف، فلا سبيل إلى تغييره عن النَّصب.

ونلاحظ أنَّ "يونس" قاس (وَحْدَهُ) على (حِيَالِهِ) وَ (عِنْدَهُ) على أساس ظرف بمنزلة (عِنْدَهُ) في الظَّرفية، وممَّا يقوِّي ذلك ما قاله "المبرِّد" (ت 285 ه) "مررتُ برجل وحده، وجاءني رجل وحدَهُ، ورأيت رجلا وحدَهُ، فإنَّ الوصف بالظَّرف أكثر من الوصف بالمصدر".[2]

أمَّا "الخليل" وتبعه في ذلك "سيبويه" وأغلب البصريين، وقالوا أنَّ (وَحْدَهُ) منصوب على المصدرية كونه حالا، يقول "الخليل": وإنَّما صار كذلك لأنَّه مصروف عن جهته تريد (مررتُ تريد الواحد) فلمَّا أسقطت الألف واللَّام نصبته لأنَّه مصروف عن جهته في إذا قلت: (هو نسيج وَحْدِهِ) خفضته، قال الشَّاعر:

جَاءَتْ بِهِ مُعْتَجِرًا بِبُرْدِهِ ★★★★★ سَفْوَاءُ تَرْدِي بِنَسِيجِ وَحْدِهِ.[3]

[1]- شرح المفصَّل، ابن يعيش، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422ه، ج 2، ص 19.

[2]- المقتضب، المبرِّد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج 3، ص 234.

[3]- ينظر: أدب الكاتب، ابن قتيبة، تح: محمد الدَّالي، مؤسَّسة الرِّسالة، (د ط)، (د ت)، ص 110، والمخصَّص، ابن سيده، تح: خليل إبراهيم جفَّال، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط 1، 1417ه، ج 1، ص 240.

ويقصد الشَّاعر بقوله نسيج وَحْدِهِ أنَّه واحد في معناه، ليس له فيه ثان، وحكى "الخليل" أيضا أنَّهم يخفضونه في قول "جُحَيْشْ" وحدِهِ وعُبَيْرُ وَحْدِهِ بالكسر[1]، وإلى ذلك ذهب "ابن منظور": "مررت به وحدَه لا يثنَّى ولا يجمع ولا يغيَّر عن المصدر وهو بمنزلة قولك: إفرادا، وإن لم يتكلَّم به وأصله أوحدتَّه بِمَرْوِيٍّ إحادا، ثمَّ حذفت زياداته فجاء الفعل، ومثله قولهم: عُمْرك إلَّا فعلت، أي: عُمْرَتُكَ الله تعميرا وقالوا هو نسيج وحدِه، وعبير وحدِه".[2]

ومعنى هذا أنَّ (وَحْدَهُ) منصوب على الحال، أي: منفردا وهو في الأصل مصدر محذوف من الزَّوائد وهو عند أهل البصرة على المصدر في كلِّ حال، يقول "ابن برِّي" عن قول "الجوهري": "أمَّا أهل البصرة فينصبونه على الحال وهو عندهم اسم واقع موقع المصدر المنتصب على الحال مثل: جاءَ زيدٌ رَكْضًا، أي: راكضًا".[3]

وإلى نفس السِّياق ذهب "ابن هشام" (ت 716 هـ) فيما ذهب إليه "يونس" قولين: أحدهما: ما قاله "يونس" من نصبه على الظَّرفية، والآخر أن يكون مصدرا بفعل مقدَّر هو الخبر، كما قالوا: (زَيْدٌ إقبالا)، أي: يُقبلُ إقبالا.[4]

معنى هذا أنَّ "يونس" وَ "هشام" أجازا الإخبار بـ: (وَحْدَهُ) فيقال: زيد وحده إجراء له مجرى (عنده) وتقديره زيد موضع التَّفرُّد.

---

[1]- الجمل في النَّحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: فخر الدِّين قباوة، مؤسَّسة الرِّسالة، ط 1، 1405هـ/1985م، ص 140.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، ج 3، ص 449.

[3]- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، تح: مجموعة من المحقّقين، دار البداية، (د ط)، (د ت)، ج 3، ص 449.

[4]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، تح: عبد الرَّحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط 1، 1428هـ، ج 2، ص 692، وينظر: همع الهوامع في شرح الجوامع، جلال الدِّين السُّيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة الوقفية، مصر، (د ط)، (د ت)، ج 1، ص 379.

واستحسن "السُّهيلي"* تقدير "يونس" في مالا يصلح تقديره به (خصوصا) وقال في ما روي مرفوعا: (رَحِمَ الله أَبَا ذرٍّ، يمشي وَحْدَهُ، ويموتُ وحدهُ، ويبعثُ وحدهُ).[1]

وقال في ذلك: "أمَّا الذي في الحديث فلا يتقدَّر هذا التَّقدير، لأنَّه من المحال أن يموت خصوصا، وإنَّما معناه منفردا بذاته، أي: على حدَّته كما قال "يونس"؛ فقول "يونس" صالح في هذا الموطن، وتقدير "سيبويه" له بالخصوص يصلح أن يحمل عليه في أكثر المواطن".[2]

ونستنتج من كلام "السُّهيلي" أنَّه خصَّ الحديث عن المرفوع في اعتبار "وحدَه" ظرفا بعلَّة استحالة أن يستقيم المعنى مع أن تكون حالا.

ومن المؤيِّدين لرأي "الخليل" وَ "سيبويه" نجد "ابن الرَّبيع" (ت 788 هـ) "فذهب إلى أنَّ (وَحْدَهُ) من الأسماء التي وضعت موضع هذه المصادر الموضوعة موضع الأفعال التي هي أحوال، وتكون نكرة تارة ومعرَّفة بالألف واللَّام تارة، ثمَّ معرَّفة بالإضافة تارة أخرى، وهذه المصادر المسموعة لا يمكن القياس عليها بل تحفظ على هيئتها الحالية، فمثال النَّكرة: مررت بهم طرًّا ومررتُ بهم قاطبة ومثال المعرَّف بـ: (ال) قولهم: مررتُ بهم الجمَّاء الغفير، ومثال المعرَّفة بالإضافة قولهم: مررتُ بزيدٍ وحدهُ".[3]

فـ: (مررت بهم قاطبة) وَ (مررت بهم طرًّا) على مذهب "سيبويه" وَ "الخليل" هما في موضع مصدرين وإن كانا اسمين وبذلك أنَّ قاطبة وإن كان لفظها من الصِّفات كقولنا دائمةً، ذاهبةً، وطرًّا إن

---

* – أبو القاسم السُّهيلي: هو عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الخطيب بن فتوح السُّهيلي، والسُّهيلي نسبة إلى قرية من القرب من مالقة بالأندلس اسمها سهيل، ولد سنة 508 هـ في مالقة وتوفِّي سنة 581 هـ في مراكش المغربية.

[1] – البداية والنِّهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، ط 7، 1408هـ/1988م، ج 3، ص 15.

[2] – الرَّوض الأنف، السُّهيلي، تح: عمر عبد السَّلام السَّلَّامي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط 1، 1421هـ، ج 7، ص 361.

[3] – البسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي، أبو الرَّبيع، تح: عيَّاد الثّبيتي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1986م، ص 518.

كان لفظها يدلُّ على العموم لا يجوز حملها إلَّا على المصدر وصار بمنزلة مصدرا استعمل موضع الحال.

كما وافق "الشَّاطبي" (ت 790 هـ) مذهب "الخليل" وَ "سيبويه" بقوله: "فمذهب "سيبويه" وَ"الخليل" أنَّه اسم موضوع موضع المصدر الموضوع موضع الحال، فالأصل في قولك: اجتهد وحدك، اجتهد منفردا، حال ثمَّ وضع موضع وحدك، فوحدك موضعه انفرادا و(انفرادا) مصدر في موضع الحال".[1]

وَ "سيبويه" يأخذ برأي "الخليل" ويرى أنَّ وحدَه حال من الفاعل، وأجاز "المبرِّد" أن يكون حال من المفعول، قال "ابن طلحة": "يتعيَّن كونه حالا من المفعول لأنَّه إذا أراد الفاعل يقول رأيت زيدا وحدي، وعند "سيبويه" تدل على أنَّه حال من الفاعل وأيضا فهو مصدر أو نائب المصدر، والمصادر في الغالب إنَّما تجيء أحوالا من الفاعل".[2]

والذي يفهم من رأي "الخليل" أنَّ (وَحْدَهُ) حال مأخوذة من كلمة (الواحد) وحذفت (ال) ونصب على الحال لأنَّه متحوِّل من الاشتقاق إلى الجمود.

[1]- المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية، الشَّاطبي، تح: عبد الرَّحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، جامعة أمُّ القرى، ط 1، 1428هـ/2007م، ج 3، ص 436.

[2]- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419هـ، ج 9، ص 20.

ومن المؤيِّدين لرأي "الخليل" نجد "ابن فضَّال"* يصف قول "الخليل" بالأقوى، قال: "فقول "الخليل" أقوى لأنَّ وحده أشبهه بالمصدر في معناه ولا يجوز فيه الاتِّباع بإجماع. كما جاز في خمستهم وأخواتها لأنَّه أقرب إلى المصدر".[1]

والذين أيَّدوا رأي "الخليل" رفضوا رأي "يونس"، "أعرض "الحنبلي" في كتابه "جامع العلوم" رأي "يونس" ورأى أنَّه قياس غير مضطرد. ذلك لأنَّه لا يجوز قياس وحده على الظَّرف لأنَّهم قالوا هو نسيج وحده، وعبير وحدِه، فأضافوا (نسيج) إليه في الإضافة إلى الظَّرف لا يجوز ذلك ولا يمكن أن نقول: غلام عندَه".[2]

وفي نفس السِّياق رفض "ابن عصفور" رأي "يونس" معلِّلا فساده بأنَّ ما ليس بزمان ولا مكان لا ينبغي أن يجعل ظرفا بقياس، "إذ أنَّه لو كان وحده اسما موضوعا عن موضع المصدر لكان ممتنعا من الصَّرف ذلك لأنَّ المصادر لها أفعال لا تمتنع من الصَّرف إلَّا إذا كانت ممَّا لم يستعمل لها فعل كـ: (سبحان الله) بأنَّها أنداك لا تتصرَّف".[3]

وكذلك ردُّ قول "يونس" أنَّه يأتي في موضع الجمع مفردا، فنقول يا لقومِ وحدهم، فلا عذر لهم عن مجيئه في مواضع الجمع مفردا، غير أنَّ المصدر إذا اختلفت أنواعه ثني وجمع، ورأى النُّحَّاة رأي "يونس" ضعيف ذلك لأنَّ:

---

* – هو علي بن فضَّال المجاشعي القيرواني، مؤرِّخ وعالم باللُّغة والأدب والتَّفسير، من أهل القيروان. ولد سنة 479 هـ وتوفِّي سنة 1086م.

[1] – جمهرة اللُّغة، الحسن بن دريد، تح: رمزي منير بلعبكي، دار المعارف، بيروت، ط 1، 1987م، ج 1، ص 461. وينظر: الجمل في النَّحو، الزَّجَّاجي، ص 140.

[2] – شرح اللُّمع في النَّحو لابن جنِّي، أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي الأصبهاني، تح: محمد خليل العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007م، ص 185.

[3] – شرح الجمل، الزَّجَّاجي، ج 2، ص 161.

1. مجيء وحدَه جمعا لا إفرادا.
2. إمكانية إضافة وحدَه.
3. حذف حرف الجر سماعا ولم يأت قياسا.

إلَّا أنَّنا نجد من أعرب القرآن أجاز أن تكون (عِنْدَ) حالا وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.[1] إذ أعطى "ابن سيده" احتمالية كون (عِنْدَ) حالا في الآية الكريمة وقال: "ظرف يعمل فيه الاستقراء الذي هو عامل وَيُحْمَلُ أن ينتصب على الحال والعامل فيه محذوف تقديره: كائنا عند ربِّهم".[2]

وأجاز "العكبري" (ت 616 هـ) فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾.[3] أن تكون (عِنْدَ) حالا من الدَّار، الدَّارُ: اسم كان، وفي الخبر ثلاثة أوجه: أحدهما هو خالصةً وظرف لخالصة أو للاستقرار الذي في لكم، ويجوز أن تكون (عِنْدَ) حالا من الدَّار والعامل فيها كان أو الاستقرار، وأمَّا لكم تكون على هذا متعلِّقة بكان، لأنَّها تعمل في حروف الجر.[4]

ومن هذه الآراء التي أجاز فيها النُّحَّاة أن يكون الظَّرف حالا يمكن أن نلتمس العذر "ليونس" ولا نصف رأيه بالشُّذوذ.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 62.

[2]- إعراب القرآن، ابن سيده، جامعة أمِّ القرى، ط 1، 1430هـ، ج 1، ص 18.

[3]- سورة البقرة، الآية 94.

[4]- التِّبيان في إعراب القرآن، العكبري، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركائه، (د ط)، (د ت)، ص 94.

3/ مسألة تأويل (أيُّ):

ما يتَّفق عليه النُّحَاة أنَّ التَّأويل هو صرف اللَّفظ عن معناه الظَّاهر إلى معنى خفيٍّ، وهذا ما نجده في قول "محمد عيد": "التَّأويل هو صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفيَّة لتقدير وتدبُّر، وأنَّ النُّحَاة أوَّلوا الكلام وصرفوه عن ظاهره لكي يوافق قوانين النَّحو وأحكامه"[1]، والتَّأويل كثير في ثنايا اللُّغة والتُّراث النَّحوي لذلك قال "سيبويه": "وليس شيء في ما يضطرُّون إليه إلَّا وهم يحاولون به وجها"[2]، ذلك فقد اختلف "يونس" وَ "الخليل" حول تأويل (أيُّ) فقد وردت في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾.[3] وَ (أيُّ) هي معربة عند النُّحَاة وهذا ما يؤكِّده الشَّيخ "خالد الأزهري" في ثنايا حديثه عن (أيُّ) الموصولة المضافة: "والمشهور عند الجمهور إفرادها وتذكيرها، وقد تؤنَّث وتثنَّى وتجمع عند بعضهم، وعلى الحالين هي معربة"[4]، وبما أنَّها معربة فكان حتما أن تأتي في الآية الكريمة مفتوحة، كونها مفعولا به لفعل (ننزع) ولهذا فقد اختلف "يونس" مع "الخليل" حول تأويلها، فيرى الأوَّل أنَّ الضمة في (أيُّ) هي ضمَّة إعراب وهي بمنزلة أشهد إنَّك لرسول الله، في حين ذهب "الخليل" إلى أنَّها مرفوعة على الحكاية، وهذا ما نجده في قول "سيبويه": "زعم "**الخليل**" أنَّ أيُّهم إنَّما وقع في اضرب أيُّهم أفضل، على أنَّه حكاية، كأنَّه قال: اضرب الذي يقال له أيُّهم أفضل، وشبَّهه بقول "الأخطل":

وَلَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ ★★★★★ فَأَبِيتُ لَا حَرَجُ وَلَا مَحْرُومُ.[5]

---

[1]- أصول النَّحو العربي في نظر النُّحَاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللُّغة الحديث، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 1982م، ص 185.

[2]- الكتاب، سيبويه، ج 1، ص 32.

[3]- سورة مريم، الآية 69.

[4]- ينظر : التَّصريح بمضمون التَّوضيح، خالد الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 1421هـ/2000م، ج 1، ص 438.

[5]- الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 399.

أمَّا "يونس" فيزعم أنَّه بمنزلة قولك: "أشهد إنَّك لرسول الله، واضرب معلَّقة".[1]

ومن هذا القول يتبيَّن أنَّ "الخليل" أوَّل (أيٌّ) في الآية الكريمة على الحكاية والتَّقدير عنده: ثمَّ لننزعنَّ من كلِّ شيعة الذي من أجل عتوِّه، فقاس على قول "الأخطل" وموطن الشَّاهد في البيت السَّابق هو: "رفع حرج ومحروم" وكان وجه الكلام نصبهما على الحال ووجه الرَّفع عند "الخليل" أن يحمَل بتقدير فأبيت كالذي يقال له لا حرجُ ولا محرومُ ولا يجوز رفعه على إضمار مبتدأ. كما لا يجوز (كان زيد لا قائمٌ ولا قاعدُ) على تقدير (لا هو قائمُ ولا هو قاعدُ) لأنَّه ليس موضع قطع، فلذلك حمله على الحكاية.[2]

أمَّا (لا حرجُ) عند "الخليل" مرفوع على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو لا حرجُ ولا محرومُ، والمعنى فأبيت كالذي يقال له لا حرجُ ولا محرومُ، قال "النحاس" في هذا البيت: قال "سيبويه": زعم "الخليل" أنَّ هذا ليس على إضمار أنا ولو كان كذلك لجاز: كان عبد الله لا مسلم ولا صالح ولكنَّه فيما زعم "الخليل": فأبيت كالذي يقال له: لا حرجُ ولا محرومُ، وإنَّما فرَّ "الخليل" من إضمار أنا وإن كانت قد تضمر في هذا الموضع لأنَّه يلزم عليه أن يقول: كنت لا خارجُ ولا ذاهبُ، وهذا قبيح جدًّا فجعله على الحكاية، فأبيت بمنزلة الذي يقال له: لا حرجُ ولا محرومُ، أي: أنَّها لم تحرمني فيقال: لي محرومُ وألم أتحرَّج على حضوري معها فيقال لي حرجُ".[3]

أي أنَّ "الخليل" ذهب إلى أنَّ أيُّهم مرفوع بالابتداء وأشدَّه خبره، ويجعل أيُّهم استفهاما، والجملة منصوبة المحل على أنَّها مقولة القول مقدَّر كأنَّه قال: لننزعنَّ الذين يقال فيهم أيُّهم أشدُّ.

في حين "يونس" لم يرفض القراءة وعدَّها صحيحة، ورأى (أيٌّ) معربة، وعلَّل رفعها بأنَّها معلَّقة عن العمل قياسا على ظنَّ وأخواتها؛ حيث أنَّ الفعل (ننزع) من المفترض أن يعمل فيها نصبا ولكنَّه

[1]- المصدر السَّابق، الجزء السَّابق، ص 398.

[2]- ينظر: الكتاب (الحاشية)، سيبويه، ج 2، ص 399.

[3]- خزانة الأدب ولب لسان العرب، البغدادي، ج 6، ص 140.

عُلِّق عن العمل فيها وهي بذلك مبتدأ وما بعدها خبر، يريد بقوله معلَّقة عن العمل فلا تعمل في شيء، وعلى هذا فـ: (أيُّ) عند "يونس" استفهامية معربة ومرفوعة، والتَّعليق عنده غير مخصوص بأفعال القلوب.[1] كما أنَّ (أيُّ) عند "يونس" متضمِّن لمعنى حرف الاستفهام معرب بالرَّفع على أنَّه مبتدأ خبره أشدُّ.

نجد "الزجاج" عن تفسيره للآية السَّابقة ذكر الآراء وحجَّة كلّ رأي، ثمَّ عقَّب قائلا: "قال "أبو إسحاق"، والذي أعتقده أنَّ القول في هذا قول "الخليل" وهو موافق للتَّفسير، لأنَّ "الخليل" كان مذهبه وتأويله في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الذي من أجل عتوِّه يقال: أي هؤلاء أشدُّ عتيًّا، فيستعمل ذلك في الأشد فالأشدُّ، والله أعلم".[2]

كما رجَّح أيضا رأيه العلَّامة "أحمد بن محمد الهائم" (ت 815 هـ) فقال في شرحه لتحفة الطلَّاب: "وأجيب عن هذه الآية بأنَّها فيها استفهامية محكية بقول مقدَّر، والتَّقدير: ثمَّ لننزعنَّ من كلِّ شيعة الذين يقال فيهم أشدُّ، ويعزى هذا إلى "الخليل".[3]

أمَّا الموافقون لـ: "يونس" فليسوا كثر فيما اطَّلعت عليه من المصادر ولم أجد إلَّا عالمين هما: "الباقولي" (ت 543 هـ) وَ "الكافيجي" (ت 879 هـ)*.

---

[1]- ينظر : الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 399.

[2]- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم الزَّجَّاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1988م، ج 3، ص 340.

[3]- شرح تحفة الطلَّاب لأحمد بن محمد الهائم، إعداد: أحمد شيخ عبد اللَّطيف عثمان، إشراف: السَّيِّد حسن حامد البهوتي وحسن موسى الشَّاعر، أطروحة دكتوراه، تخصُّص: لغة، جامعة أمِّ القرى/المملكة العربية السُّعودية، كلِّية اللُّغة العربية، قسم اللُّغة، 1414هـ/ 1993م، ج 2، ص 375.

* - هو محي الدِّين محمد بن سليمان سعد بن مسعود الرُّومي البرعمي الحنفي المحيوي، المكنَّى عبد الله الشَّهير بالكافيجي، لأنَّه أكثر من قراءة الكافية لابن الحاجب حتَّى نسب إليها.

وافقه "الباقولي" ضمنا في تفسير مصطلح النَّزع تفسيرا بعيدا عن ما هو عليه المصطلح النَّحوي وهو تمييز الصَّالح من الطَّالح فقال: "لأنَّ المراد بالنَّزع في الآية، هو التَّمييز بين الصَّالح والطَّالح، وليس المراد به نزع الشَّيء من الشَّيء، كنزع المسامير من الخشب فلهذا جاز التَّعليق".[1]

وافقه "الكافيجي" في كون (أيُّ) في قوله تعالى: أيُّهم أشدُّ متضمِّن لمعنى حرف الاستفهام معرب بالرَّفع على أنَّه مبتدأ خبره (أشدُّ) قائلا: "من أوجه (أيُّ) أن تقع موصولة (كالذي) نحو قولهم: (لأضربنَّ أيُّهم أفضل) ونحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ قال "سيبويه": (أيُّ) اسم موصول مبني على الضم لكونه بمعنى الذي، وإذا أعرب يكون محمولا على كلّ وبعض للزوم الإضافة وإذا حذف صدر صلته عاد البناء إليه كما في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، وقال "الخليل" وَ "يونس" (أيُّ) ههنا متضمِّن لمعنى حرف الاستفهام معرب بالرَّفع على أنَّه مبتدأ خبره (أشدُّ) وَ "يونس" يقول المجموع منصوب المحل على أنَّه تعلَّق بـ (ننزع) بمعنى من جهة المفعولية وإن لم تعمل فيه لفظا على ما هو شأن التَّعليق، والأظهر ههنا قول "يونس" لخلوّه من ارتكاب محذور ولتبادر الذِّهن إليه".[2] ونفهم من هذا القول أنَّ "الكافيجي" شرح المذاهب الثَّلاثة إلَّا أنَّه عدَّ مذهب "يونس" هو الأظهر من بين هذه المذاهب.

أمَّا "سيبويه" في هذه المسألة فله رأي مخالف لشيخيه "يونس" وَ "الخليل" ومبتكرا قاعدة نحوية مفادها أنَّ (أيُّ) مبنية على الضم إذا حذف صدر صلتها (اضرب أيُّهم أفضل) ويجيز في ذلك نصب (أيَّ)، يقول بعد أن ساق ما سمعه من "الخليل" وَ "يونس": "وأرى قولهم: اضرب أيُّهم أفضل على

[1]- شرح اللُّمع في النَّحو، الباقولي، ص 185.

[2]- شرح الإعراب في قواعد الإعراب للكافيجي دراسة نحوية، وعد محمد سعيد العاني، مجلَّة جامعة الأنبار للُّغات والآداب، كلِّية التَّربية للعلوم الإنسانية، العدد 23، 2017م، ص 126.

أنَّهم جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة في (خمسة عشر) وبمنزلة الفتحة في (الآن) حين قالوا: من الآن إلى الغد، ففعلوا ذلك بأيُّهم حين جاء مجيئا لم تجيء أخواته عليه إلَّا قليلا.[1]

وقد اختار هذا المذهب ورجَّحه جماعة من النَّحويين منهم: "ابن يعيش"[2]، "الرضي"[3]، "ابن مالك"[4]، وَ "المرادي".[5]

يقول "ابن يعيش" في سياق حديثه عن (أيُّ): "فإن حذفت العائد المرفوع الذي لا يحسب حذفه في (الذي) بني على الضم نحو قولك: لأضربنَّ أيُّهم أحسن، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴾.[6]

والمعنى: أيُّهم هو أشدُّ وإنَّما بنيت لأنَّ القياس فيها أن تكون مبنية على حدِّ نظيرتها وهما: (من وَ ما) لأنَّها إذا كانت استفهاما فقد تضمَّنت معنى همزة الاستفهام، وإذا كانت جزاء فقد تضمَّنت معنى حرف الجزاء وهو (إن) وإذا كانت خبرا بمعنى الذي، وحلَّها نقص بإزالتها عن ترتيبها، فعادت إلى أصلها، ومقتضى القياس فيها من البناء، وإنَّما بنيت على الضم على التَّشبيه بقبل وبعد، وهذا مذهبُ "سيبويه".[7]

ويذهب "السَّيرافي" أيضا إلى أنَّ "سيبويه" قاس (أيُّ) على الموصولات الأخرى، وإنَّ إضافة لها ردُّها إلى البناء، وهذا ما نلمسه في قوله: "ويقوِّى مذهب "سيبويه" في البناء أنَّ نظيري أيُّهم (من

[1]- الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 400.

[2]- ينظر: شرح المفصَّل، ابن يعيش، ج 3، ص 145.

[3]- ينظر: شرح الرَّضي لكافية ابن الحاجب، الرَّضي، ج 3، ص 61-62.

[4]- ينظر: شرح التَّسهيل، ابن مالك، ج 1، ص 208.

[5]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، ج 1، ص 488.

[6]- سورة مريم، الآية 69.

[7]- شرح المفصَّل، ابن يعيش، ج 3، ص 145.

وَما)، وهما مبنيان، وكان حق (أيُّهم) أن يكون مبنيا لوقوعه موقع حرف الاستفهام والجزاء وموقع الذي وكلُّ ذلك مبني، فلمَّا دخل (أيُّهم) نقص في العائد فردَّ إلى أصله. كما أنَّ (ما) في لغة أهل الحجاز إذا تقدَّم خبرها أو دخل الاستثناء بين الاسم والخبر ردَّ إلى ما يوجبه القياس فيه بطلان".[1]

ووافق "سيبويه" أيضا "ابن الأنباري" ورفض بذلك قول "الخليل" وَ "يونس" لأنَّه لا بدَّ أن يسبقه كلام حتَّى تعود عليه الحكاية، وأن يقوله قائل، فيكون محكيا فيقول: "وأمَّا قول "يونس" فضعيف جدًّا لأنَّ الفعل إذا كان مؤثِّرا لا يجوز إلغاؤه".[2]

كما رفض "ابن هشام" قول "يونس" لأنَّ (ننزع) ليس من أفعال القلوب ك (ظنَّ) و (رأى)، والأمر الآخر في (أيُّ) نفسها حتَّى لو كان الفعل قلبيا، لا يمكن لأنَّ (أيُّ) موصولة لا استفهامية.[3]

أمَّا "الرماني" فرجَّح رأي "الخليل" ورفض رأي "يونس" قائلا: "ففيه الاختلاف والذي عندي أقول أنَّ قول "الخليل" جائز حسن وكذلك مذهب "سيبويه"... أمَّا مذهب "يونس" فلا يجوز لأنَّ أُضرب وما جرى مجراها من ينزع ليست من أفعال التي تعلَّق لأنَّه لا يصحُّ أن يكون معناها في الجملة التي هي اسم وخبر. كما لا يصحُّ في العلم وأخواته، وذلك أنَّها إذا ألغيت بقيت الجملة التي معنى الفعل فيها يعمل بعضا في بعض.[4]

وبعد استقراء هذه الآراء نفهم بأنَّ "يونس" قد انفرد برأيه في هذه المسألة ولم يتَّبعه أحد من النَّحويين إلَّا "الكافيجي" وَ "الباقولي" كما سلفني الذِّكر، ذلك لأنَّ (اضرب) قويَّة في العمل ولا يصحُّ

---

[1]- شرح كتاب سيبويه، السَّيرافي، ج 3، ص 166. وينظر : النّكت في تفسير كتاب سيبويه، الشّنتمري، ج 2، ص 292-299.

[2]- أسرار العربية، أبو بكر الأنباري، ص 265.

[3]- ينظر: المغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمال الدِّين بن هشام، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط 6، 1985م، ج 1، ص 544.

[4]- ينظر: شرح كتاب سيبويه، الرُّمَّاني، ج 1، ص 712.

أن تعلَّق، وأمَّا ما ذهب إليه "الخليل" من أنَّه على الحكاية فإنَّ هذا مجاله الشِّعر ولم يأخذ "سيبويه" بهذا الرَّأي؛ حيث قال: وتفسير "الخليل" رحمه الله ذلك الأوَّل بعيد إنَّما يجوز في شعر أو في اضطرار[1]، وهذا ما أكَّده "ابن الأنباري" في قوله: ألا ترى أنَّه لو جاز أن يقال اضرب الفاسقَ الخبيثَ بالرَّفع أي اضرب الذي يقال له الفاسقُ الخبيثُ، كما يتبيَّن أنَّ الكثير من النُّحَّاة لم يأخذوا برأي "يونس" وَ "الخليل" وإنَّما رجَّحوا رأي "سيبويه" وذلك لأنَّ السَّماع يدعِّمه، ومن ذلك ما حكاه "أبو عمر الشَّيباني"، وهو أحد من تأخذُ اللُّغة عنه من العرب؛ حيث روى قول "غسَّان بن وعلة":

إِذَا مَا أُتِيتُ بَنِي مَالِكٍ ★★★★★ فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ.

بالرَّفع، وهذا يدلُّ على أنَّها مبنيَّة، وأنَّ ذلك لغة منقولة صحيحة عن العرب فلا وجه لإنكارها أو التَّعسُّف في تأويلها.[2]

4/ مسألة إلحاق صفة الألف في النُّدبة:

تعرف النُّدبة بأنَّها نداء المتفجِّع عليه أو المتوجِّع منه بـ: (وا) أو (يا) وعليه فأسلوب النُّدبة يستعمل لأمرين:

- **الأوَّل**: نداء المتفجِّع عليه مثل قولنا: وامحمَّداه أو يامحمَّدا.
- **الثَّاني**: المتوجِّع منه مثل: وارأساه.

والغرض من النُّدبة الإعلام بعظمة المندوب، وإظهار أهميته أو العجز عن احتمال ما به، ومن شروط المندوب أن لا تلحق ألف النُّدبة وهاء السَّكت المندوب الموصوف وهذا محلَّ خلاف بين "يونس" وَ "الخليل"، فلا تلحق ألف النُّدبة صفة المندوب عند "الخليل" ووافقه في ذلك "سيبويه"، قال هذا الأخير: "هذا باب مالا تلحقه الألف التي تلحق المندوب" ويقول فيما تفرَّد به "يونس":

[1]- ينظر: الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 401.

[2]- ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، ج 2، ص 715، وينظر: شرح التَّسهيل، ابن مالك، ج 1، ص 208.

"زعم "**الخليل**" رحمه الله أنَّه منعه من أن يقول الظَّريفاه أنَّ الظَّريف ليس بمنادى، ولو جاز ذلك لقلت: وازيدُ أنت الفارس البَطَلَاهُ، لأنَّ هذا غير منادى. كما أنَّ ذلك غير نداء وليس هذا كقولك: وأميرَ المؤمناه، ولا مثل: واعبدَ قيساه، من قبل أنَّ المضاف والمضاف إليه من اسم واحد منفرد والمضاف إليه هو تمام الاسم ومقتضاه، ألا ترى أنَّك لو قلت عبدًا أو أميرًا، وأنت تريد الإضافة لم يجز لك... ويدلُّك ذلك على أنَّ ألف النُّدبة إنَّما تقع على المضاف إليه كما تقع على آخر الاسم المفرد، ولا تقع على المضاف، والموصوف إنَّما تقع ألف النُّدبة عليه لا على الوصف، أمَّا "يونس" فيلحق صفة الألف، فيقول: (وازيدُ الظَّريفاه)، وَ (أجمجمتي الشَّاميتيناه) وزعم "الخليل" رحمه الله أنَّ هذا خطأ.[1]

وقد علَّق "السَّيرافي" على هذا النَّصّ قائلا: "ندبة الصِّفة قول "يونس" والكوفيين، والذي حكاه "سيبويه" عن "يونس" لست أدري: إلحاق علامة النُّدبة له من قياس "يونس"، أو ممَّا حكاه عن العرب فنحتجُّ به؟ ويقال إنَّ الجمجمة هي القدح، وإنَّ إنسانا ضاعت له قدحان فندبهما... وقد يجوز أن تكون جمجمتي الشَّاميتيناه من جماجم العرب يعني: (سادتهم ورؤسائهم) فقد احتجَّ "الخليل" لبطلان ندبة الصِّفة ببطلان ندبة الخبر، وقال من يخالفه: ليس الخبر مثل الصِّفة، لأنَّ الخبر منقطع عن المندوب والصِّفة من تمامه".[2]

وبعد اطِّلاعي على كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لـ: "ابن الأنباري" وجدتُ أنَّ هذه المسألة وقعت خلافا بين البصريين والكوفيين. كما تتبَّع الكوفيون فيها بعض البصريين، فالكوفيون قاسوا الموصوف مع صفته على المضاف إليه، فإنَّ الصِّفة مع الموصوف بمنزلة المضاف مع المضاف إليه، فإذا جاز إلقاء علامة النُّدبة على المضاف إليه، كذلك يجوز أن تلقي على الصِّفة واستدلُّوا

[1]- الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 226.

[2]- شرح كتاب سيبويه، السَّيرافي (الحاشية)، ج 2، ص 226.

لقولهم ما رؤي عن بعض العرب أنَّه ضاع منه جمجمتان فقال: (أجمجمتي الشَّاميتيناه) وألقى علامة النُّدبة على الصِّفة.[1]

واعترض لرأي "يونس" ومن تبعه في ذلك من الكوفيين العديد من النُّحَاة واعتبروا ذلك من الشَّاذ الذي لا يقاس عليه، غير أنَّ "سيبويه" لم ينقل لنا تعليل كلّ واحد منهما إلَّا أنَّه اعتمد على رأي "الخليل" بعدم جواز أن تلحق ألف النُّدبة صفة المندوب واحتجَّ في ذلك بأنَّ الصِّفة ليست منادى ولا من تمام المنادى، ولذلك لم يجز إلقاء علامة النُّدبة عليها لأنَّ النُّدبة للمنادى، أمَّا "الخليل" فالصِّفة عنده كالخبر في خروجها عن النِّداء، أي أنَّ "الخليل" ربط بطلان ندبة الصِّفة ببطلان ندبة الخبر، لأنَّ الخبر يصف للمبتدأ معنا، إذ لو جاز دخول ألف النُّدبة في الصِّفة لجاز دخولها في قولك: (وازيداه أنت الفارسُ البطلاه)، فالصِّفة والخبر عند "الخليل" خارجان عن النِّداء، فقد اتَّفقا في خروجهما وإن اختلفا في المعنى، وإنَّما النُّدبة للمنادى ولا تدخل غيره، فما كان خارجا عن النِّداء، فالنُّدبة مفارقة له وهو ما وافق عليه "السَّيرافي" وَ "الفارسي"؛ حيث قال: "ووجه الجمع بينهما، أي بين الصِّفة والخبر أنَّ (البطلاه) هو المدعو في المعنى وليس بداخل النِّداء. كما أنَّ الوصف هو المدَّعي المعنى ولو جاز دخول علامة النُّدبة في الوصف لجاز دخولها في (البطلاه) في هذه المسألة لاجتماعهما في أنَّهما المدعوان في المعنى، ولم يعمل النِّداء فيهما، هذا جمع "الخليل" وإلزامه صحيح وجمع بيِّن ولم يعمل النِّداء فيهما".[2]

ثمَّ يقدِّم "الفارسي" دليلا على انفصال الصِّفة من الموصوف في المعنى: "وإن كانت تجري عليه في إعرابه قولهم في النِّداء: يا زيدُ العاقلُ، ألا ترى أنَّ الموصوف مبني والصِّفة معربة، فاختلافهما في

[1]- الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، ج 1، ص 364.

[2]- المسائل البصريات، عبد الغفَّار الفارسي أبو علي، تح: محمد الشَّاطر، مطبعة المدني، ط 1، 1405هـ/1985، ج 1، ص 514.

الإعراب والبناء دلالة على أنَّهما ليسا بجاريين مجرى الشَّيء الواحد فإذا كان كذلك لم يجز قول "يونس" في إلحاقه علامة النُّدبة الصِّفة".[1]

ويفسِّر هذا القول "ابن الأنباري" بأنَّ علامة النُّدبة الأصل فيها أن تلقى على ما يلحقه تنبيه الصَّوت لمدٍّ، وليس ذلك موجودا في الصِّفة، لأنَّها لا يلزم ذكرها مع الموصوف، فوجب أنَّه لا يجوز.

نجد أيضا "المبرِّد" يبطل ما ذهب إليه "يونس" قائلا: وكان "يونس" يجيز أن يلقي علامة النُّدبة على النَّعت، فيقول: "وازيدُ الظَّريفاه، وهذا عند جميع النَّحويين خطأ، لأنَّ العلامة إنَّما تلحق ما لحقه من تنبيه النِّداء لمدِّ الصَّوت والنَّعت خارج من ذا".[2]

وقد احتجَّ "يونس" ردًّا على "الخليل" بأنَّه ليس الخبر مثل الصِّفة، فلذلك لم يجز أنت الفارس البطلاه لأنَّ الخبر منقطع عن المندوب، والصِّفة عن تمامه[3] واحتجَّ بعض من وافق "يونس" بأنَّ اتِّصال الموصوف بصفته، إلَّا أنَّ الموصوف متَّصل بصفته على الجملة لفظا واتِّصاله بهما في المعنى أتم من اتِّصال الموصول بصلته، والمضاف بالمضاف إليه وإن كان في اللَّفظ أنقص وذلك لأنَّه يطلق اسم الصِّفة على موصوعها ولا يطلق المضاف إليه على المضاف ولا الصِّلة على موصولها.[4]

ويطرح "أبو علي" جوابا افتراضيا على التَّفريق بين الموصوف والمضاف إليه، ثمَّ يجيب قائلا: فإن قلت: إنَّ الصِّفة جعلت بمنزلة الموصوف في قولك: (هذا زيدٌ بن عمرو)، حين جعل بمنزلة اسم واحد نحو: امرئ وابنمٍ، وكذلك: (لا غلامَ ظريفَ لك)، وكذلك قول من قال: (ما مررتُ بأحد إلَّا زيدا خيرٍ منك) فينصب لما تأخَّرت الصِّفة كما كان ينصب لو تأخَّر الموصوف وتقدَّم المستثنى فإذا كان قد

[1]- المرجع السَّابق، ج 1، ص 513.

[2]- الأصول في النَّحو، ابن السَّرَّاج، ج 1، ص 358. والمقتضب، المبرِّد، ج 4، ص 275.

[3]- النّكت في تفسير كتاب سيبويه، الشَّنتمري، ج 2، ص 173.

[4]- شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب، الرَّضي، ج 1، ص 422.

صار بمنزلة اسم واحد فهل جاز أن يلحق الصِّفة علامة النُّدبة كما جاز أن يلحق المضاف إليه علامة النُّدبة، لاجتماعهما في أنَّهما بمنزلة اسم واحد؟

ثمَّ قال: لا يدلُّ جعلهم (زيدًا) مع (ابن) بمنزلة اسم واحد على أنَّ الصِّفة والموصوف بمنزلة اسم واحد لما ذكرنا مع افتراق الصِّفة والموصوف، وإنَّما فُعِلَ هذا مع العلم خاصَّة، لكثرته في كلامهم ومخالفتهم به للأصل في هذا. كما غيَّروا في أشياء أخرى نحو: مَنْ زَيْدًا، ألا ترى أنَّه إذا زايلٌ* هذا الموضع لم يكن مثله في هذا الموضع، فإذا كان كذلك دلَّك أنَّ الصِّفة ليست في حكم الموصوف في هذا...[1]

وقد تابع "أبا علي" في استدلاله واحتجاجه لمذهب "الخليل" وَ "سيبويه" في عدم جواز إلحاق ألف النُّدبة لصفة المندوب غالبُ النُّحَّاة بعد ذلك: كـ: "العبكري"[2]، وَ "ابن الحاجب"[3]، وَ "أبو حيان"[4]، وَ "السُّيوطي"[5]، وتبع "ابن مالك" قول "يونس" والكوفيين في الجواز مؤيِّدا إيَّاه بقوله:[6]

أَلَا يَا عَمْرُو عَمْرَاهْ ★★★★★ وَعَمْرُو بنُ الزُّبَيْرَاهْ.

---

*- أي: بارحه وفارقه.

[1]- المسائل البصريات، الفارسي، ج 1، ص 515-517.

[2]- اللُّباب في علل البناء والإعراب، العكبري، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط 1، (د ت)، ج 1، ص 343.

[3]- الإيضاح في شرح المفصَّل، عثمان بن الحاجب أبو عمرو، تح: موسى بنَّاي العليلي، وزارة الأوقاف، العراق، (د ط)، 1402هـ/1982م، ج 2، ص 285.

[4]- ارتشاف الضَّرب من لسان العرب، أبو حيَّان الأندلسي، تح: رجب عثمان محمد/رمضان عبد التَّوَّاب، مكتبة الخانجي، ط 1، 1418هـ/1998م، ج 2، ص 216.

[5]- همع الهوامع، السُّيوطي، ج 3، ص 69-70.

[6]- شرح ابن عقيل، الهمداني، البيت من الشَّواهد التي لم نقف على نسبتها لقائل معيَّن، ج 2، ص 285.

حيث لحقت ألف النُّدبة (عمراه) وهو توكيد مندوب ولحقت في (الزُّبيراه) وهو مضاف إليه نعت معطوف على المندوب وإلحاقها نعت المندوب كقول:[1]

كَمْ قَائِلٍ يَا أَسْعَدُ بنُ سَعْدَاهُ ★★★★★ كُلُّ امْرِئٍ بَاكٍ عَلَيْكَ أَرَاهُ.

وقد تبع "ابن مالك" في ذلك: "ابن عصفور"[2]، "ابن عقيل"[3] وَ "الأشموني".[4]

وما يمكن أن نقوله في هذه المسألة:

- استند كلٌّ من "الخليل" وَ "سيبويه" في هذه المسألة إلى قواعدهم، لا يجوز أن تلقى علامة النُّدبة على الصِّفة لأنَّ علامة النُّدبة إنَّما تلقى على ما يلحقه تنبيه النِّداء وليس ذلك موجودا في الصِّفة لأنَّها لا يلزم ذكرها مع الموصوف فوجب أن لا يجوز.
- أمَّا "يونس" وَالكوفيون استندوا إلى السَّماع، ومن ثمَّ بعد ذلك ذهبوا إلى أصل من أصول قياسهم وهو القياس على النَّظير، وذلك من خلال قياس الصِّفة مع الموصوف على المضاف مع المضاف إليه، فإذا جاز أن تلقي علامة النُّدبة على المضاف إليه فكذلك يجوز أن تلقى على الصِّفة.

[1]- شرح التَّسهيل، ابن مالك، البيت لا يعلم قائله، ج 3، ص 416.

[2]- المقرب لابن عصفور الإشبيلي، صلاح سعيد المليطي، دار الآفاق العربية، القاهرة/مصر، ط 1، 1427هـ/2006م، ج 1، ص 184.

[3]- المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدِّين بن عقيل، تح: محمد كامل بركات، جامعة أمِّ القرى، ط 1، 1407هـ/1982م، ج 2، ص 537.

[4]- شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الأشموني، ج 3، ص 250.

5/ مسألة النَّصب بعد (لا) النَّافية الدَّاخلة عليها همزة استفهام:

ما يتَّفق عليه أغلب النُّحَّاة أنَّ الأصل في (ألا) هو همزة الاستفهام التي تركَّبت مع (لا) النَّافية للجنس، وعليه فإنَّ (لا) عند النُّحَّاة لا تتغيَّر أحكامها بعد دخول الهمزة عمَّا كانت عليه من أحكام قبل دخولها، وهذا ما أكَّده الشَّاعر:

وَأَعْطِ لَا مَعَ هَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ ★★★★★ مَا تَسْتَحِقُّ دُونَ الِاسْتِفْهَامِ.[1]

ومعنى البيت وَأَعْطِ (لَا) النَّافية حال كونها مصاحبة للهمزة الدَّالة على الاستفهام نفس الحكم الذي كانت (لا) هذه تستحقُّه حال كونها غير مصحوبة بأداة الاستفهام.[2]

فلا يكاد كتاب النَّحو يخلو من دراسة (ألا) لأهمِّيتها ولكثرة استخدامها في الكلام كونها تحمل عدَّة معان منها: التَّمنِّي، العرض، التَّحضيض، كما تفيد التَّنبيه والاستفتاح، وحول (ألا) اختلف "يونس" وَ "الخليل"، يقول "سيبويه": "وسألت "**الخليل**" رحمه الله عن قوله:

أَلَا رَجُلٌ جَزَاهُ الله خَيْرًا ★★★★★ يدلُّ عَلَى مُحَصَّلَةٍ تَبِيتُ.[3]

فزعم أنَّه ليس على التَّمنِّي، ولكنَّه بمنزلة قول الرَّجل: فهلَّا خيرا من ذلك، كأنَّه قال: ألا ترونني رجلا جزاه الله خيرا. وأمَّا "**يونس**" فزعم أنَّه نوِّن مضطردا وزعم أنَّ قوله:

لَا نَسَبَ اليَوْمَ وَلَا خِلَّةَ.[4]

---

[1]- شرح ابن عقيل، الهمداني، ج 1، ص 408.

[2]- المصدر نفسه، (الهامش)، الصَّفحة نفسها.

[3]- البيت لأنس بن العبَّاس بن مرداس، ينظر: شرح شواهد المغني، السُّيوطي، مكتبة الحياة، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج 2، ص 1.

[4]- البيت لعمرو بن قعَّاس، وينظر: خزانة الأدب، البغدادي، ج 3، ص 51.

على الاضطرار، وأمَّا غيره فوجَّهه على ما ذكرت لك، والذي قال مذهبُ".[1]

نفهم من هذا القول أنَّ "يونس" وَ "الخليل" اختلفا حول نصب كلمة (رَجُلًا) في البيت الشِّعري السَّابق وكان خلافهم كالآتي:

ذهب "يونس" إلى أنَّ (رَجُلًا) منصوب على التَّمنِّي بها بغير تنوين على اعتبار أنَّ الاسم بعدها منصوب بلا النَّافية للجنس ودخلت عليها همزة الاستفهام وأنَّ التَّنوين للضَّرورة.

أمَّا "الخليل" فيرى أنَّ (رَجُلًا) اسم منصوب بفعل محذوف تقديره: أَلَا تَرَوْنِي رَجُلًا وَ (أَلَا) عنده للعرض وهذا ما أكَّده "ابن هشام" في "المغني": ومن معاني (أَلَا) للعرض والتَّحضيض ومعناها طلب الشَّيء، ولكن العرض طلب بلين والتَّحضيض طلب بحثٍّ، وتختصُّ هذه بالفعلية، والتَّقدير عنده: أَلَا تروني رجلًا فهذه صفته فحذف الفعل مدلولا عليه بالمعنى".[2]

وذهب إلى تنوين رجلًا أنَّه ليس من أسلوب التَّمنِّي الذي أدَّت معناه الهمزة مجازا ولكنَّه أسلوب التَّحضيض فكأنَّه قال: فهلَّا خيرا من ذلك، أمَّا النَّصب فعلى تقدير فعل محذوف كأنَّه قال: ألا تروني رجلا جزاه الله خيرا، والنَّصب واجب، لأنَّ الاسم وقع بعدما يختصُّ بالفعل (أدوات التَّحضيض)، نحو: هلا زيدًا أَكْرَمْتَهُ.[3]

[1]- الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 309.

[2]- خزانة الأدب، البغدادي، ج 3، ص 51.

[3]- ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تح: محي الدِّين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت/لبنان، (د ط)، (د ت)، ج 2، ص 161.

رجَّح "الأعلم" رأي "الخليل" فقال: وقول "الخليل" أولى لأنَّه لا ضرورة في إضمار الفعل بخلاف التَّنوين، وإضمار "الخليل" أولى من إضمار غيره لأنَّه لم يرد أن يدعو لرجل على هذه الصِّفة وإنَّما قصد طلبه.[1]

وممَّا سبق يتبيَّن أنَّ "الخليل" يعُدُّ (أَلَا) كلمة واحدة ليست مكوَّنة من همزة استفهام و(لا) النَّافية للجنس، وما ذهب إليه "يونس" أنَّ همزة الاستفهام دلالة على التَّمنِّي، يوافقه في ذلك "ابن السراج" نقلا عن "الأخفش" (ت 215 هـ) فقال: وأمَّا "يونس" فكان يقول: إنَّما تمنَّى ولكنَّه نوَّن مضطردا وكان يقول في قول "جرير":

فَلَا حَسَبًا فَخَرْتَ بِهِ لَتِيمٍ ★★★★★ وَلَا جِدًّا إِذَا ازْدَحَمَ الجُدُودُ.[2]

إنَّما نوَّن مضطرا، وكذلك يقول "أبو الحسن الأخفش" ومن قال: لا رجلَ ولا امرأة لم يقل في التَّمنِّي إلَّا بالنَّصب.[3]

أجاز العلماء للشَّاعر أن يخرج عن الأصل إذا اضطرَّ إلى ذلك، ومن هنا نجد "الزَّمخشري"، يقول: أمَّا قوله:

لَا نَسَبَ اليَوْمَ وَلَا خِلَّةَ.

[1]- النّكت، الشَّنتمري، ج 2، ص 223.

[2]- ينظر: شرح المفصَّل، ابن يعيش، ص 214، خزانة الأدب، البغدادي، ج 3، ص 27.

[3]- الأصول في النَّحو، ابن السَّرَّاج، ج 1، ص 398-399.

فعلى إضمار فعل، كأنَّه قال: ولا أرى خِلَّه[1]، وقال "المشرِّح"[*]: في قوله: ولا خِلَّه أن يكون هذا محمولا على ضرورة الشِّعر، وهذا لأنَّ الأصل في اسم (لا)، أن يكون منصوبا منوَّنا إلَّا أنَّه ترك هذا القياس وللشَّاعر أن يعمل بهذا القياس المهجور في ضرورة الشِّعر، كما يعاد تنوين المنصرف فيها.[2] ونقل لنا "ابن هشام" رأيا ثالثا في المسألة وجعلها للتَّنبيه فقال: وزعم بعضهم أنَّه محذوف على شريطة التَّفسير، أي: ألا جزى الله رجلا جزاه خيرا، و(ألا) على هذا للتَّنبيه.

وإلى قريب من ذلك ذهب "البغدادي": والأولى عندي أن يكون من باب الاشتغال، فيكون رجلا منصوب بجزى مقدَّرا يفسِّره المذكور، وعليه تكون (ألا) للتَّنبيه.[3]

يتَّضح لنا من هذه المسألة أنَّ الخلاف بين "يونس" وَ "الخليل" مردُّه إلى الخلاف في فهم المعنى ومن ذلك الاختلاف في التَّركيب، وما نلاحظه أنَّ "سيبويه" أجاز الوجهين إلَّا أنَّه اعتبر آراء "يونس" من الآراء التي تفرَّد بها بقوله: "والذي قال مذهبُ" أي مذهبٌ صالح معتبر، فكان أميل لشيخه "يونس" في هذه المسألة خاصَّة أنَّه أوَّل من ذكر الضَّرورة وجعل لها بابا من كتابه: "قال هذا باب ما يحتمل الشِّعر اعلم أنَّه يجوز في الشِّعر ما لا يجوز في الكلام".[4]

[1]- شرح المفصَّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتَّخمير، الخوارزمي القاسم بن الحسين، دار المغرب الإسلامي، ط 1، 1990م، ص 498.

[*]- المشرَّح هو: الخوارزمي نفسه وقد اختار لنفسه هذا اللَّفظ (المشرَّح) واعتمدها أيضا في كلِّ صفحات كتابه، وقد يكون رأى هذه التَّسمية قوَّة ومبالغة أكثر من لفظة الشَّارح.

[2]- شرح المفصَّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتَّخمير، الخوارزمي، ص 498.

[3]- شرح أبيات المغني اللَّبيب، البغدادي، ج 2، ص 94.

[4]- الكتاب، سيبويه، ج 1، ص 26.

6/ مسألة مررتُ به المسكينَ:

النَّعت كما هو معروف ينقسم باعتبار معناه إلى قسمين: النَّعت الحقيقي، والنَّعت السَّببي، والنَّعت الحقيقي هو ما دلَّ على معنى في نفس منحوته الأصلي، ولا بدَّ لأن يشتمل النَّعت الحقيقي على ضمير مستتر يعود على المنعوت في مثل قولنا: هذا رجلٌ عاقلٌ، ف: (عاقل) صفة لرجل وتشمل على ضمير يعود عليه، والتَّقدير هذا رجُلٌ عاقل هو[1]، ولا بدَّ أيضا أن يطابق النَّعت الحقيقي متبوعه في واحد من أوجه الإعراب، ومن التَّعريف والتَّنكير، وفي التَّذكير والتَّأنيث، والإفراد والتَّثنية والجمع، لكن قد يحصل تغاير بين المنعوت والنَّعت الحقيقي في الأعراب، وهو ما يعرف بـ: (القطع)، والقطع ظاهرة شائعة في اللِّسان العربي وذلك بأن يكون المنعوت مرفوعا ونعته منصوبا، وقد يكون المنعوت منصوبا ونعته مرفوعا، وقد يكون المنعوت مجرورا فيقع نعته مرفوعا أو منصوبا، وهذا ما يسمَّى بالنَّعت المقطوع، أي قطع الصِّفة عن الموصوف وأن يجعل النَّعت خبرا لمبتدأ واجب الحذف، أو مفعولا لفعل واجب الحذف، على أن يكون ذلك في مدح أو ذمٍّ أو ترحُّم، فهو نعت من حيث المعنى ولكن مخالف للمنعوت في علامة الإعراب، فالتَّرحُّم يكون بالمسكين والبائس ونحوه وحول هذا اللَّفظ اختلف "الخليل" وَ "يونس" وهذا ما نلمسه في قول "سيبويه": "وزعم "**الخليل**" أنَّه يقول: مررتُ به المسكينِ على البدل وفيه معنى التَّرحُّم... وبدله كبدل مررتُ به أخيكَ، وقال:

فَأَصْبَحَتْ بِقَرْقَرَى كَوَانِيسَا ★★★★★ فَلَا تَلُمْهُ أَنْ يَنَامَ البَائِسَا.

وكان "الخليل" يقول: إن شئت رفعته من وجهين فقلت: مررتُ به البائسُ، كأنَّه لما قال مررتُ به المسكينَ هو، كما يقول مبتدئا: المسكينُ هو، والبائسُ أنت، أمَّا "**يونس**" فيقول: مررتُ به المسكينَ على قوله: مررتُ به مسكينًا.

[1]- ينظر : التَّوابع في النَّحو العربي، محمد سليمان ياقوت، مكتبة لسان العرب، جامعة طنطا، مصر، ط 1، 2006م، ص 26.

وهذا لا يجوز لأنَّه لا ينبغي أن يجعله حالا ويدخل فيه الألف واللَّام، ولو جاز هذا لجاز مررتُ بعبد الله الظَّريفَ، تريد ظريفًا".[1]

ومن هذا القول يتَّضح لنا اختلاف "يونس" مع "الخليل" حول الجملة الآتية (مررت به المسكين)، فقد رأى "يونس" أنَّها منصوبة على الحال قياسا على مررت به مسكينا، فكان "يونس" يقدِّر سقوط الألف واللَّام، في حين نجد "الخليل" يجعلها على البدل، إضافة إلى هذا نجد "يونس" يخطِّأ "الخليل" في جواز قطع النَّعت الدَّال على التَّرحُّم الذي يكون بالمسكين والبائس فيجوز عند "الخليل" أن تقول: مررتُ به المسكينِ وإن شئت رفعته فتقول مررتُ به البائسُ، كأنَّه لما قال مررتُ به قال: المسكينُ هو، كما يقول مبتدأ: المسكينُ هو والبائسُ أنت، وإن شئت نصبت فقلت: مررتُ به المسكينَ، أمَّا "يونس" فإنَّه إذا قيل ضربتُه لم يقل إلَّا المسكينَ، يحمله على الفعل، وإن قيل: ضرباني قال: المسكينان وكذلك مررتُ به المسكينَ، يقول "سيبويه": "وزعم "**الخليل**" رحمه الله أنَّه يقول: إنَّه المسكينُ أحمقُ، على الإضمار الذي جاز في مررتُ، كأنَّه قال: إنَّه هو المسكينُ أحمقُ وهو ضعيف وجاز هذا أن يكون فصلا بين الاسم والخبر لأنَّ فيه معنى المنصوب الذي أجريته مجرى إنَّا تميما ذاهبون، أمَّا "**يونس**" فزعم أنَّه ليس يرفع شيئا من التَّرحُّم على إضمار شيء يرفع، ولكنَّه إذا قال ضربته لم يقل أحدًا إلَّا المسكينَ، يحمله على الفعل وإن قال ضرباني قال المسكينان حمله أيضا على الفعل. وكذلك مررتُ به المسكينِ، يحمل الرَّفع على الرَّفع والجرُّ على الجرِّ والنَّصب على النَّصب وهذا قول "الخليل" رحمه الله وَ "ابن اسحاق".[2]

ذهب "المرادي" إلى أنَّ المعرفة إن كان نعته لمدح أو ذمٍّ أو ترحُّم جاز القطع بالرَّفع على إضمار مبتدأ وبالنَّصب على إضمار فعل لائق، فيقدَّر في التَّرحُّم أرحم ولا يجوز إظهار المبتدأ ولا الفعل.[3]

[1]- الكتاب، سيبويه، ج 2، ص 76.

[2]- المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 77.

[3]- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، ج 2، ص 963.

كما أنَّ (المسكينَ) وَ (البائسُ) تدلُّ على التَّرحُّم، يقول "الشَّنتمري": "اعلم أنَّ مذهب التَّرحُّم غير مذهب التَّعظيم والشَّتم، والتَّرحُّم إنَّما هو رقَّة وتحنُّن، يلحق الذَّاكر على المذكور في حال ذكره إيَّاه".[1]

نرى فيما ذهب إليه "الخليل" في قوله: إنَّه المسكينُ أحمقُ على الإضمار الذي جاز في مررتُ، أي في قوله: مررتُ به المسكينُ، كأنَّه قال: إنَّه هو المسكينُ أحمقُ، قال "أبو علي": "قوله: إنَّه المسكينُ يريد هو المسكينُ، جاز أن يكون فصلا بين الهاء وأحمق"[2]، يريد أنَّك فصلت بين (إنَّه) وَ (أحمقُ) كما فصل بين قوله: (إنَّا) وَ (ذاهبون).

وخلاصة ما ذهب إليه "الخليل" نوردها في ثلاثة أوجه:

- **الأوَّل**: الرَّفع على أنَّه مبتدأ خبره محذوف تقديره "هو" مررتُ به المسكينُ هو، والبائسُ أنت.
- **الثَّاني**: الإتباع على البدل.
- **الثَّالث**: النَّصب على معنى التَّرحُّم.

أمَّا "يونس" فكلمة (المسكينَ) تعرب حالا عنده على الرَّغم من أنَّها جاءت معرَّفة بالألف واللَّام، ووافقه في ذلك البغداديون، يقول "مكّي الأنصاري": "إنَّ البغداديين وافقوا "يونس" على هذا الرَّأي المبتكر القائل بجواز الحال معرفة مطلقا دون قيد أو شرط، اعتمادا على السَّماع واستنادا إلى القياس على الخبر مع القياس على المسموع من اللِّسان العربي شعرا أو نثرا ومن القرآن الكريم".[3]

[1]- النّكت في تفسير كتاب سيبويه، الشَّنتمري، ج 1، ص 239.

[2]- التَّعليقة على كتاب سيبويه، الفارسي، ج 1، ص 264.

[3]- ما انفرد به يونس بن حبيب في النَّحو، الجيلالي بوعافية، مجلَّة الإشعاع، العدد 9، جامعة تلمسان/الجزائر، ديسمبر 2017م، نقلا عن يونس البصري، أحمد مكّي الأنصاري، مطبوعات جامعة القاهرة/مصر، (د ط)، (د ت)، ص 183.

وما يمكن أن نقوله كردٍّ على هذا القول أنَّ "يونس" عندما ذهب إلى هذا الرَّأي ارتكز على ما سمعه من كلام العرب نحو: مررتُ به الجمَّاء الغفير فهي حال معرَّفة، أي أنَّه ليس مبتكرا لهذا الرَّأي وإنَّما هو موجود في كلام العرب ما دام هناك ما يؤيِّده من السَّماع.

لكن "سيبويه" وهَّن ما ذهب إليه للفصل بين اسم إنَّ وخبرها لأنَّ فيه معنى المنصوب أجراه مجرى إنَّا تميما ذاهبون، ويريد "سيبويه" بقوله فيه معنى المنصوب: أنَّك فصلت بين إنَّه وأحمقُ في جملة، كما فصلت بين قوله (إنَّا) وَ (ذاهبون) بجملة هي: (أعني) انتصب بها تميما في قولك: إنَّا تميما ذوو عدد[1]، لأنَّ "الخليل" حمل قوله (إنَّه المسكينُ أحمقُ) على إنَّا تميما ذاهبون، وسمِّي النَّحويون الفصل بين اسم إنَّ وخبرها وما جرى مجراه بالاعتراض وجوَّزوا ذلك لأنَّ فيه اختصاصا للأوَّل وإن كان مرفوعا بإضمار مبتدأ، وشبَّهه "الخليل" (إنَّا تميما) للاختصاص الذي فيه.[2]

وما نلاحظه استنادا إلى ما ورد في الفقرة السَّابقة بأنَّ "سيبويه" لا يأخذ بالاعتراض كما أخذ به غيره من النَّحويين، وربَّما يعود ذلك إلى أنَّ الاعتراض فيه شيء من التَّأويل الذي لا حاجة بالمتلقِّي إليه، والذي يؤدِّي إلى التَّكلُّف والتَّعقيد، هذا ما لا يريده "سيبويه"، فإنَّ توجيه الرَّفع في المسكينُ يقتضي بالتَّركيب إلى بنية إسنادية اسمية هي: هو المسكينُ، في حين يقضي بنا إعراب النَّصب في المسكينَ إلى بنية إسنادية فعلية هي: أعني المسكينَ، كما وهَّن "سيبويه" "يونس" أيضا في "مررتُ به مسكينا" فلا يجوز أن يجعله حالا ولا يقاس على الشَّاذ، وهذا ما يدلُّنا على مخالفة "يونس" الشَّائع من كلام العرب ومخالفا لقواعد اللُّغة العربية التي لا تجيز دخول (ال) على الحال، كما يعالج المسألة النَّحوية من منظار وصفي انطلاقا من الوظيفة التي يؤدِّيها اللَّفظ في سياق الجملة أو التَّركيب.

[1]- التَّعليقة على كتاب سيبويه، الفارسي، ج 1، ص 264.

[2]- ينظر: النّكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشَّنتمري، ج 1، ص 480.

تقويم عام:

بعد تتبُّع الاختلافات النَّحوية بين "الخليل" وَ "يونس" في الكتاب توصَّلت إلى جملة من النَّتائج وهي كالآتي:

- اعتماد كلّ من "يونس" وَ "الخليل" على القياس، غير أنَّ القياس الذي أتى به "يونس" شاذٌّ، ممَّا يدلُّ على مخالفته لقواعد اللُّغة العربية؛ حيث انفرد برأيه في بعض المسائل، فعلى الرَّغم من ذلك إلَّا أنَّه يراعي المعنى ولا يغفله، وذلك من خلال قبوله بمجيء الحال معرفة ونصبها على المعنى، وهذا ما رأيناه في مسألة (مررتُ به المسكين).
- اعتمادهما على التَّأويل، وما نستنتجه أيضا أنَّ أغلب البصريين رجَّحوا رأي "الخليل"، في حين نجد نحَّاة الكوفة متأثِّرين بمذهب "يونس" ونهجوا نهجه، وهذا واضح في مسألة (إلحاق الصِّفة بالنُّدبة) ممَّا يدلُّ على أنَّ الخلاف في هذه المسألة كان بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية ككلّ.
- نلاحظ أنَّ "سيبويه" فاضل بين آراء شيخيه، فنجد في مواضع ينتصر للخليل، وفي مواضع أخرى ينتصر ليونس مع استعماله عبارات الاستحسان، وأحيانا يخالفهما مبتكرا في ذلك قاعدة نحوية.

الفصل الثَّالث:

الاختلافات الصَّرفية بين الخليل ويونس في كتاب سيبويه

تمهيد:

إنَّ الصَّرف نشأ مسائل متفرِّقة في كتب النَّحو ولا سيما في كتاب "سيبويه" الذي جمع فيه كثيرا من قضاياه ومسائله، فعلم الصَّرف لم يبتعد عنه منذ البذرة الأولى، فإثبات البداية لنشأة النَّحو هي بمثابة الدَّليل لنشأة الصَّرف لأنَّهما نشآ معا أوَّل الأمر، ولا يخفى على أيّ باحث في كتاب "سيبويه" أنَّه ينقسم إلى قسمين رئيسين، وقد أخذ من القسم الأوَّل منه بالمادَّة النَّحوية، أمَّا القسم الثَّاني تناول فيه المادَّة الصَّرفية، وإذا ما تطرَّقنا إلى القسم الخاصِّ بالصَّرف نجده يبدأ في منتصف الجزء الثَّالث من الكتاب ويستمرُّ إلى نهاية الجزء الرَّابع، وقد تناول "سيبويه" في هذا الباب عدَّة مسائل خلافية بين "الخليل" وَ "يونس" وذلك واضح من خلال مساءلة شيخيه ومناقشتهما، وهذا من خلال استعماله عبارة: "سألت "الخليل"، زعم "يونس"..."، إلَّا أنَّه من الصَّعب أن ندرس كلَّ الآراء الصَّرفية، لذلك أخذت مجموعة من المسائل التي اختلف فيها "يونس" مع "الخليل" وسنفصِّل في كلِّ واحدة منها.

1/ مسألة الوقف على الاسم المنقوص في النِّداء:

إنَّ الوقف قانون أساسي من قوانين اللُّغة العربية، فهو قطع النُّطق عند آخر الكلمة، فنحن لا نستطيع أن نتحدَّث أو نقرأ بوصل كلِّ الكلمات من غير توقُّف، لأنَّ طاقة التَّنفُّس أوَّلا لا تسمح لنا بذلك، ولأنَّنا في الأغلب نراعي المعاني فنقف على الكلمة التي نعرف بأنَّها أتمَّت معنى معيَّنا.[1]

والقاعدة تقول: إذا وقف على المنقوص إن كان غير منصوب جاز الإثبات إذا كان منوَّنا أو غير منوَّن نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ﴾[2]، وإن كان مرفوعا أو مجرورا جاز إثبات يائه وحذفها نحو: (هذا النَّادِي) أو (النَّادِ) "غير أنَّ الأكثر في المعرفة الإثبات وفي النَّكرة الحذف"[3]، وهذا

[1]- الصَّرف، حاتم الضَّامن، كلِّية الدِّراسات الإسلامية والعربية، دبي، ص 363.

[2]- سورة آل عمران، الآية 193.

[3]- هداية الطَّالب في علم الصَّرف، أحمد مصطفى المراغي، ص 170.

متَّفق عليه بين النُّحَاة، لكنَّنا نجد اختلاف "يونس" وَ "الخليل" حول الوقف على الاسم المنقوص في المنادى؛ حيث نقل لنا "سيبويه" جواب "الخليل" في (القَاضِي) في النِّداء واختار (يَا قَاضِي) بإثبات الياء، في حين اختار "يونس" (يَا قَاضٍ) بحذف الياء، وهذا ما نجده في قول "سيبويه" في باب **"ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات"**: "وسألت **"الخليل"** عن (القَاضِي) في النِّداء، فقال: أختار (يَا قَاضِي)، لأنَّه ليس بمنوَّن، كما أختار (هذا القَاضِي)، وأمَّا **"يونس"** فقال: (يَا قَاضْ)، وقول "يونس" أقوى، لأنَّه لما كان من كلامهم أن يحذفوا في غير النِّداء، كانوا في النِّداء أجدر، لأنَّ النِّداء موضع حذف، يحذفون التَّنوين، ويقولون (يا حَارِ)، وَ (يا صَاحِ) وَ (يا غُلامُ أقبلْ)".[1]

والواضح من هذا القول اختلاف "يونس" وَ "الخليل" حول إثبات ياء المنقوص في المنادى أو حذفها، وقد رفض "سيبويه" إثباتها وفضَّل بذلك رأي "يونس" الذي يرى حذف الياء، وعبَّر عنه بأنَّه أقوى من رأي "الخليل" الذي يرى إثبات الياء في (القَاضِي) في النِّداء، والعلَّة في ذلك أنَّ المنادى لا يدخله التَّنوين، وفي هذا السِّياق بيَّن لنا "المرادي" حجَّة كلَّ منهما -الخليل وَ يونس- فقال: "ورجَّح "سيبويه" مذهب "يونس" لأنَّ النِّداء محلَّ حذف ورجَّح غيره مذهب "الخليل" لأنَّ الحذف مجاز، ولم يكثر فيرجِّح بالكثرة".[2]

ومعنى هذا أنَّ الحذف كثير في النِّداء، فعلى هذا الأساس اختار "سيبويه" رأي "يونس"، واختلف النَّحويون في اختيار أحد المذهبين: أي منهم من اختار مذهب "الخليل" وهو إثبات الياء ومنهم من اختار مذهب "يونس" وهو حذف الياء، ومنهم من ذهب إلى جواز الوجهين دون تحديد المختار منهما.

نقل لنا "الأبذي" (ت 680 هـ) أنَّ في (يَا قَاضِي) مذهبين:

[1]- الكتاب، سيبويه، ج 4، ص 183-184.

[2]- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، ج 5، ص 162.

- **أوَّلا**: نسبته لـ: "سيبويه" وهو إثبات الياء في النِّداء، فتقول: (يَا قَاضِي أَقْبِلْ).
- **ثانيا**: نسبته لـ: "يونس" وهو حذف الياء وتعويضها إمَّا بكسرة كما في قولهم: (يَا قَاضِ أَقْبِلْ)، أو بالتَّنوين كما في (يَا قَاضٍ أَقْبِلْ)، والتَّنوين يكون هنا عوضا عن الياء كما في (حِوَارٍ وَ غَوَاشٍ).[1]

ومن الملاحظ في كلام "الأبذي" نسبة إثبات الياء لـ: "سيبويه" مع أنَّه رفض ذلك، فقال: "أمَّا "يونس" فقال: (يَا قَاضٍ) وقول "يونس" أقوى".[2]

نجد "الرَّضي" يرجِّح رأي "يونس" قائلا: وَ "يونس" يحذف الياء في المنقوص ويعوِّض منهما تنوينا، فيقول: (يَا قَاضٍ)، لأنَّه لم يعهد لام المنقوص ثابتا مع السُّكون بلا لام أو إضافة[3]، كما علَّل سبب الحذف وهو أنَّ المنادى يكون دائما في موضع تخفيف وذلك لأنَّه يدخله التَّرخيم.[4]

[1]- شرح الجزولية للأبذي من باب التَّنازع في أسماء القبائل والأحياء والسُّور إلى نهاية مباحث علم الصَّرف، إعداد: حسن بن نفاع بن نويفع الجابري الحربي، إشراف: سعد بن حمدان الغامدي، رسالة ماجيستير، تخصُّص: لغة ونحو وصرف، جامعة أمِّ القرى/المملكة العربية السُّعودية، كلية اللُّغة العربية، قسم الدِّراسات العليا العربية، 1423هـ/1424هـ، ص 182.

[2]- الكتاب، سيبويه، ج 4، ص 184.

[3]- شرح الرَّضي لكافية ابن الحاجب، الرَّضي، ج 1، ص 350.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 301.

ومعنى قول "الرَّضي" أنَّ "يونس" اختار (يَا قَاضْ) بحذف الياء في النِّداء، لأنَّه موضع تخفيف، فيحذف فيه ما لا يحذف في غيره، وبهذا يجوز الوقف على هذه الأسماء بالحذف، وقد وقف الجمهور أيضا بالحذف في غير النِّداء على: (المتَعَالِ) و (التَّلَاقِ) من قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾[2]، وحجَّتهم في ذلك أنَّ الياء جاز حذفها لأجل التَّنوين، ولا تنوين في الوقف.[3]

وكذلك نجد في الحذف أيضا في غير المنقوص في النِّداء وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿۞وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾[5]، وما نفهمه من هذه الآيات أنَّ الحذف في النِّداء جائز، فتحذف الياء سواء في المنقوص أو غيره تخفيفا.

كما وافق "ابن الضَّائع"* (ت 680 هـ) مذهب "يونس" قائلا: "الصَّحيح قول "يونس" لما تقدَّم من قوَّة الحذف والتَّغيُّر في النِّداء، فقد اجتمع في هذا الموضع بابا حذف، وهما النِّداء والوقف، فقوَّى فيه الحذف ألا ترى أنَّ ياء المتكلِّم في غير النِّداء يجوز حذفها في الوقف"[6]، ومعنى قوله أنَّ الحذف وارد حتَّى في غير النِّداء، لكن في النِّداء أقوى.

---

[1]- سورة الرَّعد، الآية 9.

[2]- سورة غافر، الآية 15.

[3]- التَّصريح بمضمون التَّوضيح، خالد الأزهري، ج 2، ص 621.

[4]- سورة الزُّمر، الآية 16.

[5]- سورة الأعراف، الآية 65.

*- أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الإشبيلي الكتامي (614هـ/680هـ) عُرف بابن الضَّائع وهو نحوي أندلسي من إشبيلية، ويعدُّه المؤرِّخون من رجال المدرسة الأندلسية في النَّحو.

[6]- المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية، الشَّاطبي، ص 21.

كما اعتبر "ابن عقيل" أنَّ الحذف في النِّداء أجود؛ حيث قال: "والمنقوص غير منصوب فاستصحاب حذف يائه أجود، فتقول: (هَذَا قَاضٍ)، (مَرَرْتُ بِقَاضٍ)، فتقف بحذف الياء استصحابا لما كان في الوصل، والوقف عارض وإقرار الياء جيِّد إلَّا أنَّ الحذف أكثر".[1]

غير أنَّنا نجد "السَّيرافي" يختار مذهب "الخليل" وهذا ما نجده في قوله: "وبعض أصحابنا يختار قول "الخليل"، رأيت ذلك في سياق الكلام نسب أوَّله إلى "أبي العبَّاس المبرِّد" فيما حكاه "محمد بن علي بن مبرمان" والحجَّة في ذلك أنَّ المنادى المعرفة لا يدخله التَّنوين في وقف ولا وصل، والذي يسقط الياء هو التَّنوين، فوجب أن تثبت الياء لأنَّها لام الفعل، كما يثبت غيرها من سائر الحروف".[2]

ونفهم من هذا القول أنَّ "المبرِّد" هو أوَّل من ثبت عنه إثبات الياء، فإذا وقفوا ردُّوا الياء لكي لا تختلَّ الكلمة لأنَّها لام الفعل.

وقد أشار "ابن النَّاظم" إلى المنقوص غير المنوَّن بقوله:

وَغَيْرِ ذِي التَّنْوِينِ بِالعَكْسِ وَفِي ★★★★★ نَحْوِ مُرِ لُزُومُ رَدُّ اليَاءِ اقْتُفِي

ويعني أنَّ المنقوص غير المنوَّن بالعكس من المنوَّن، فإثبات الياء فيه أَوْلَى من حذفها نحو: (هَذَا القَاضِي) و (مَرَرْتُ بِالقَاضِي)، ويعني بغير التَّنوين المقرون بـ (أل)، وما ذكره من أنَّه عكس المنوَّن إنَّما ذلك في المرفوع والمجرور، وأمَّا المنصوب فليس في الوقف إلَّا إثبات الياء.[3]

[1]- المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، ج 4، ص 308.

[2]- شرح كتاب سيبويه، السَّيرافي، ج 5، ص 56.

[3]- شرح المكودي على الألفية في علمي الصَّرف والنَّحو، عبد الرَّحمن بن علي بن صالح المكودي، تح: عبد الحميد هنداوي، الدَّار النَّموذجية، بيروت، (د ط)، 1425هـ/2005م، ص 355.

كما وافق "الأشموني" أيضا مذهب "الخليل"، لكن بإثبات الياء مفتوحة، يقول: "أمَّا المعتلُّ ففيه لغة واحدة وهي ثبوت يائه مفتوحة نحو: (يَا فَتَايَ) وَ (يَا قَاضِيَ)".[1]

ونجد أيضا "ابن طاهر"* (ت 580 هـ) يؤيِّده في اختيار ياء (قَاضِي) لو حذفت في النِّداء في الوصل لكان قول "يونس" هو الصَّحيح، ولكنَّهم لا يقولون إلَّا: (يَا قَاضِي)، بإثبات الياء، فصار بمنزلة (القَاضِي) فالجيِّد ثبوتها، وكلّ قد حذف منه التَّنوين، فقوَّى "الخليل" عنده.[2]

وما نلاحظه أنَّ ردّ الياء في هذا النَّوع من الأسماء من في غير النِّداء جائز، وما يؤكِّد ذلك قراءة "ابن كثير" في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١ ﴾[4]، فيجوز الوقف عليها بإثبات الياء، وهي لهجة عربية قديمة فصيحة.[5]

وممَّا يلفت النَّظر أنَّ "الخليل" شبَّه بين (يَا قَاضِي) في النِّداء و (هَذَا القَاضِي) في غير النِّداء، وذلك لانعدام التَّنوين فيهما، ممَّا يدلُّ على أنَّ في النِّداء لا يوجد (قَاضٍ) فالقصد (يَا قَاضِيُ).

كما قبل "الزَّمخشري" أيضا رأي "الخليل" قائلا: "إذا ناديت فالوجه إثبات الياء وهو قول "الخليل" وذلك أنَّ المنادى المعرفة لا يدخله التَّنوين لا في حال وقف ولا في حال وصف"[6]، إلَّا أنَّنا نجد بعض النُّحَاة أجاز الوجهين –رأي الخليل وَ يونس– ومنهم: "ابن عصفور" بقوله: "وإذا كان

---

[1]– شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ج 3، ص 41.

*– أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الإشبيلي الأنصاري النَّحوي (512هـ/580هـ) لغوي ونحوي أندلسي من إشبيلية، يعدُّه المؤرِّخون من رجال المدرسة النَّحوية في الأندلس.

[2]– ينظر: المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية، الشَّاطبي، ص 22.

[3]– سورة الرَّعد، الآية 7.

[4]– سورة الرَّعد، الآية 11.

[5]– ينظر: الصَّرف، حاتم الضَّامن، ص 364.

[6]– شرح المفصَّل، الزَّمخشري، ج 9، ص 75.

منادى نحو: (يَا قَاضِي)، جاز الوقف عليه وجهان: أحدهما إثبات الياء، والآخر حذفها وتسكين ما قبلها، فتقول في الوقف على (يَا قَاضِي)، (يَا قَاضْ) وإن شئت (يَا قَاضِي)، والاختيار عند "الخليل" إثباتها وعند "يونس" وَ "سيبويه" حذفها".[1]

وإلى ذلك ذهب أيضا "أبو حيَّان" بقوله: "وإن لم يكن منوَّنا بأن كان منادى نحو: (يَا قَاضِي أَقْبِلْ)، فيوقف عليه، فـ: "الخليل" يختار أن يوقف عليه بالياء، وَ "يونس" يختار أن يحذف فنقول: (يَا قَاضْ)".[2]

وبعد تأييد النُّحَاة تارة لمذهب "الخليل" وتارة لمذهب "يونس" إلَّا أنَّنا نجد صاحب الكتاب يرجِّح رأي "يونس" ووصفه بالقوَّة وذلك لموافقته قواعد اللُّغة العربية؛ حيث أنَّ العرب تُكثر الحذف في النِّداء تخفيفا لكثرة الاستعمال، فحذف حرف العلَّة هو أسهل من حذف الحروف غير المعتلَّة التي تحذف، بينما حروف العلَّة تحذف في الجزم في الفعل المضارع أو في البناء، وكذلك التَّنكير مع الأسماء فلذلك حذفت في النِّداء، لأنَّ المنادى يدخله التَّرخيم، وبهذا عدَّ النُّحَاة الحذف هو الأكثر والأجود والمختار.

2/ مسألة النُّون المؤكَّدة الخفيفة في الوقف:

من المعروف أنَّ النُّون المؤكَّدة على ضربين: ثقيلة وخفيفة، الأولى مبنية على الفتح، والثَّانية مبنية على السُّكون، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3]، والنُّون الخفيفة السَّاكنة لا بدَّ أن يسبقها إحدى الحركات الثَّلاث: الفتحة والضَّمة والكسرة، وعند الوقف عليها اختلف "يونس" وَ "الخليل"، يقول "سيبويه": "وأمَّا **"يونس"**

[1]- شرح جمل الزَّجاجي، ابن عصفور، ج 3، ص 9.

[2]- ارتشاف الضَّرب من لسان العرب، أبو حيَّان الأندلسي، ص 804.

[3]- سورة يوسف، الآية 32.

فيقول: (اخْشَيي) و (اخْشَووا) يزيد الياء والواو بدلا من النُّون الخفيفة من أجل الضَّمَّة والكسرة، فقال "**الخليل**" لا أرى ذلك إلَّا على قول من قال: (هَذَا عَمْرُو) وَ (مَرَرْتُ بِعَمْرِي) وقول العرب على قول "الخليل"."[1]

ثمَّ قال: "... وينبغي لمن قال بقول "يونس" في (اخْشَيي) و (اخْشَووا) إذا أراد الخفيفة أن نقول (هَلْ تَضْرِبُوا) يجعل الواو مكان الخفيفة، كما فعل ذلك في (اخْشَيي) لأنَّ ما قبلهما في الوصل مرتفع إذا كان الفعل للجمع ومنكسرا إذا كان للمؤنَّث ولا يردُّ النُّون مع ما هو بدل من الخفيفة كما لم تثبت في الصِّلة فإنَّما ينبغي لمن قال بذا أن يجريها مجراها في المجزوم لأنَّ نون الجمع ذاهبة في الوصل، كما تذهب في المجزوم وفعل الاثنين المرتفع بمنزلة فعل الجميع المرتفع".[2]

يشرح لنا "السَّيرافي" مذهب "الخليل" وَ "يونس" حول الوقف على نون التَّوكيد الخفيفة بقوله: "إذا وقفت على (اخْشَوْنَ) وَ (اخْشَيْنَ) فمذهب "سيبويه" وَ "الخليل" أن تقول (اخْشَيي) وَ(اخْشَووا) لأنَّهما لا يعوَّضان من النُّون لضمَّة ما قبلهما وكسرته، فإذا حذفوا النُّون عاد اللَّفظ كما كان قبل دخولها فقلنا: (اخْشَى) وَ (اخْشَوا)، وكان "يونس" يقول: أبدل من النُّون واوا إذا كان قبلها ضمَّة، وياء إذا كانت قبلها ضمَّة، وياء إذا كانت قبلها كسرة، فأقول: (اخْشَووا) وَ (اخْشَيي) فقال "الخليل": لا أرى ذلك إلَّا على قول من قال: (هَذَا عَمْرُو) وَ (مَرَرْتُ بِعَمْرِي) إذا وقفت عليه".[3]

ويتَّضح لنا في هذه المسألة رفض "الخليل" رأي "يونس" في زيادته الواو والياء في (اخْشَيي) وَ(اخَشَووا) بدلا من النُّون الخفيفة، ويقيس "الخليل" ذلك على مذهب من قال من أهل اليمن: (هَذَا زَيْدُو و (مَرَرْتُ بِزَيْدِي).

[1]- الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 522.

[2]- المصدر نفسه، ج 3، ص 523.

[3]- شرح كتاب سيبويه، السَّيرافي، ج 4، ص 257.

يقول "الخليل" في الوقف: (هَلْ تَضْرِبُونْ)، و (هَلْ تَضْرِبْنْ)، والواو والياء ضميران ردَّا بعد حذف نون التَّوكيد مع ردّ النُّون التي سقطت لأجل نون التَّوكيد.[1]

ومعنى هذا أنَّ "الخليل" يقول في الواو والياء بأنَّها واو الضَّمير ويائه، أمَّا "يونس" فعنده بدل من النُّون المحذوفة، كما أجاز "الخليل" أن تكون الألف عوضا من النُّون عند الوقف، هذا ما نلمسه في قوله: "وأمَّا الألف التي تكون عوضا من النُّون الخفيفة مثل قولك (يَا زَيْدُ اضْرِبَا) ولا تتحوَّل النُّون الخفيفة ألفا إلَّا عند الوقف كقوله تعالى: ﴿ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾".[2]

ويوافقه في ذلك "سيبويه" بقوله: "اعلم أنَّه كان الحرف الذي قبلها مفتوحا، ثمَّ وقفت جعلت مكانها ألفا، كما فعلت ذلك في الأسماء المنصرفة حين وقفت، وذلك لأنَّ النُّون الخفيفة والتَّنوين من موضع واحد، وهما حرفان زائدان، والنُّون الخفيفة ساكنة، كما أنَّ التَّنوين ساكن، وهي علامة توكيدهما أنَّ التَّنوين علامة المتمكِّن، فلمَّا كانت كذلك -النُّون الخفيفة- أجريت مجراها في الوقف -التَّنوين- وذلك قولك: (اضْرِبَا) إذا أمرت الواحد وأراد الخفيفة".[3]

والنُّون الخفيفة فإنَّك إذا وقفت عليها وكان الحرف الذي قبلها مفتوحا جعلت مكانها ألفا كما فعلت ذلك في الأسماء، تقول في الوصل: (اضْرِبَنْ زَيْدًا)، و (أَكْرِمَنْ عَمْرًا)، فإذا وقفت قلت: (اضْرِبَا) و (أَكْرِمَا) وأنت تخاطب واحدا.[4]

[1]- الكافية الشَّافية، ابن مالك، ج 2، ص 407، وشرح الرَّضي على الكافية، الرَّضي، ج 4، ص 496.

[2]- الجمل في النَّحو، الخليل، ص 237.

[3]- الكتاب، سيبويه، ج 4، ص 6.

[4]- ينظر: الجمل في النَّحو، الخليل، ص 237. والمقتضب، المبرِّد، ج 3، ص 17.

فالنُّون في هذه الحالة تشبه التَّنوين، أي هناك تشابه كبير بين النُّون الخفيفة والتَّنوين، وقد أورد "الخليل" مجموعة من الشَّواهد لتوكيد هذا الحكم ومنها قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَنَسۡفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾[1]، وقف الجميع عليها بالألف لا غير.[2]

وهذا ما أكَّده "الدُّمياطي الشَّافعي":

إِذَا وَقَفْتَ فَاجْعَلْ التَّنْوِينَا ★★★★★ مِنْ بَعْدِ فَتْحٍ أَلِفًا وَالنُّونَا

أَعْنِي بِهَا الخَفِيفَةَ المؤَكَّدَةْ ★★★★★ وَاقْرَأْ لَنَسْفَعًا تَجِدْ مُؤَيِّدَه

وَاحْذِفْ لَهُ التَّنْوِينَ فِي رَفْعٍ وَجَرّ ★★★★★ وَالنُّونَ ضَمِّ مَا نَلَتْ أَوِ انْكَسِرْ

و (وَاقْرَأْ لَنَسْفَعًا) أي واقف عليها، (مُؤيِّده) أي مقرئ هذا الحكم أو حجَّة مؤيِّدة له.[3]

وأمَّا من الشِّعر قول "امرئ القيس":

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ★★★★★ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ.[4]

فالشَّاهد (قِفَا) فـ: "الخليل" يقول الأصل (قِفْنَ) والشَّاعر أبدل النُّون الخفيفة ألفا.[5]

ومن ذلك أيضا قول "الأعشى" من بيت (الطَّويل)

وَإِيَّاكَ وَالمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا ★★★★★ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانِ وَاللهَ فَاعْبُدَا

---

[1]- سورة العلق، الآية 15.

[2]- الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، ص 167.

[3]- كفاية المستكفي من الفنِّ الصَّرفي، محمد الدُّمياطي الشَّافعي، مطبعة بولاق الأميرية، ط 1، 1311هـ، ص 79.

[4]- البيت من الطَّويل لامرئ القيس في ديوانه، ص 14، وينظر: الجمل في النَّحو للخليل، ص 239، والكتاب لسيبويه، ج 2، ص 205، والأصول في النَّحو لابن السَّرَّاج، ج 2، ص 385.

[5]- الجمل في النَّحو، الخليل، ص 239.

فالشَّاهد (فَاعْبُدَا) أبدل الشَّاعر نون التَّوكيد الخفيفة المفتوح ما قبلها ألفا عند الوقف، والأصل (فَاعْبُدَنْ).

ومنه أيضا قول الشَّاعر من بيت (الرَّجز)

يَحْسِبُهُ الجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا ★★★★★ شَيْخًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمًا

الشَّاهد قوله (لَمْ يَعْلَمَا) يريد (لَمْ يَعْلَمَنْ)؛ حيث أكَّد الفعل المضارع بنون التَّوكيد الخفيفة المقلوبة ألفا بعد النَّفي بـ: (لم).[1]

يرى "ابن جنِّي" يجوز حذف هذه النُّون في الشِّعر ومنه يقول الشَّاعر:

لَا تُهِينَ الفَقِيرَ عَلَّكَ ★★★★★ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرَ قَدْ رَفَعَهْ.[2]

والمراد (لَا تُهِينَنْ)، فحذفت لسكونها وسكون ما بعدها، حيث حذفت نون التَّوكيد الخفيفة والأصل (لَا تُهِينَنْ) منعا من التقاء السَّاكنين وبقيت الفتحة دليلا عليها.[3]

وهذا ما أكَّده "ابن عقيل":

وَاحْذِفْ خَفِيفَةً لِسَاكِنٍ رَدِفْ ★★★★★ وَبَعْدَ غَيْرِ فَتْحَةٍ إِذَا تَقِفْ.

وَارْدُدْ إِذَا حَذَفْتَهَا فِي الوَقْفِ مَا ★★★★★ مِنْ أَجْلِهَا فِي الوَصْلِ كَانَ عُدِمَا.

وَأَبْدِلْنَهَ بَعْدَ فَتْحٍ أَلِفًا ★★★★★ وَقْفًا، كَمَا تَقُولُ فِي قِفْنَ: قِفَا.[4]

---

[1]- الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، ص 168.

[2]- نهاية الأرب في فنون الأدب، النّويري، تح: مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 1424هـ/2004م، ج 3، ص 63.

[3]- شرح المفصَّل، الزَّمخشري، ج 5، ص 172-173.

[4]- شرح ابن عقيل، الهمداني، ج 1، ص 268.

أمَّا في حال سبق نون التَّوكيد الخفيفة مضموما أو مكسورا فإنَّها تحذف كما تحذف التَّنوين في حالة الرَّفع والجرّ[1]، فالمفهوم نحو: (اضْرِبُنْ يَا قَوْمِ)، والأصل (اضْرِبُونْ) وحذف التَّنوين في الرَّفع (جَاءَ زيدٌ)، أمَّا في المكسور فنحو (اضْرِبَنْ يَا هِنْدْ) والأصل (اضْرِبِينْ) وحذف التَّنوين (مَرَرْتُ بِزَيْدٍ) في الجرّ.[2]

ونقل لنا "سيبويه" عن "الخليل" قوله: "إذا كان ما قبلها مكسورا أو مضموما ثمَّ وقفت عندها لم تجعل مكانها ياء ولا واوا، وذلك قولك للمرأة وأنت تريد الخفيفة (اخْشَيْ)، وللجميع وأنت تريد النُّون الخفيفة (اخْشَوْ)، وقال: هو بمنزلة التَّنوين إذا كان ما قبله مجرورا أو مرفوعا".[3]

قال "السُّيوطي": "وتحذف الخفيفة للوقف بعد كسر أو ضمٍّ مردود ما حذف لها من ياء أو واو بزوال حذفهما وهو التقاء السَّاكنين بحذفها... وقال "أبو حيَّان" الذي يُظهر أنَّ دخولها في الوقف خطأ لأنَّها لا تدخل على معنى التَّوكيد ثمَّ يحذف ولا يبقى دليل على مقصودها الذي جاءت له"، وأجاز "يونس" في هذه الحالة إبدالها ياء وواوا ويظهر ذلك ظهورا بيِّنا في نحو (اخْشَوْنَ) و (اخْشَيْنَ) فقال (اخْشَيْ) و (اخْشَوُوا)، كما أبدلت ألفا بعد الفتح إجماعا كقولك في (اضْرِبَنْ) وفي التَّنزيل العزيز: ﴿ لَنَسْفَعًا ﴾ ولذلك رسم بالألف على نيَّة الوقف".[4]

وقد ذهب "أبو علي" مذهب "الخليل" في "الإيضاح"، ووضَّح رأيه "الجرجاني" (ت 471 هـ) بقوله: "وإذا حذفت النُّون عاد الواو الذي هو ضمير الجمع، والياء الذي هو ضمير المرأة لأجل أنَّهما

[1]- شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب، الرَّضي، ج 4، ص 496.

[2]- ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، ج 4، ص 102.

[3]- الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 522.

[4]- همع الهوامع، السُّيوطي، ج 2، ص 618.

سقطا لالتقائهما مع النُّون وتعيد نون الرَّفع أيضا لأجل أنَّه إنَّما وجب حذفه لاقتضاء دون التَّأكيد بناء الكلمة، فإذا زال النُّون وجب عود النُّون لزوال ما أوجب البناء".[1]

كما يرى "الشَّاطبي" أنَّه لا ينبغي أن تحذف نون التَّوكيد في قياس من قال: (هَذَا زَيْدُو) و (مَرَرْتُ بِزَيْدِي)، بل تبدل واوا بعد الضَّمَّة وياء بعد الكسرة فنقول: (اخْشَيْ) و (اخْشُووا) ويعدُّه قياسا صحيحا[2]، أمَّا عند الحذف فيلزم ردُّ ما حذف، يبيِّن ذلك فقال: "واردد إذا حذفتها في الوقف إلى آخره يعني أنَّك إذا حذفت نون الخفيفة في الوقف، فإنَّك تردُّ ما حذف لأجلها في الوصل، من ضمير أو علامة رفع، وذلك قوله: (يَا زَيْدُونَ اضْرِبُونِ) و (يَا هِنْد اضْرِبِي) فردَّت الواو والياء لزوال ما أوجب حذفهما وهو النُّون السَّاكنة".[3]

أمَّا "الرَّضي" فقد رفض رأي "الخليل" إذ جاء في شرحه: "قال "الخليل" لا أرى ذلك إلَّا على مذهب من قال من أهل اليمن: (هَذَا زَيْدُ) و (مَرَرْتُ بِزَيْدِي)، وهي غير فصيحة".[4]

كما وهَّن "السَّيرافي" أيضا "الخليل" عند قياسه (هَذَا عَمْرُو) و (مَرَرِتُ بِعَمْرِي) قائلا: قال "أبو عثمان" أهل اليمن يقولون: (هَذَا زَيْدُو) وليسوا فصحاء".[5]

وأمَّا "يونس" فقد أجاز للواقف إبدالها واوا أو ياء في نحو: (اخْشَوْنِ) و (اخْشَيْنْ): أي أنَّ "يونس" لا يحذف السَّاكنة بعد ضمَّة أو كسرة، بل يبدلها حرفا متجانسا للحركة التي قبلها فيقلبها

[1]- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تح: بحر المرجان، دار الرَّشيد للنَّشر، بغداد/العراق، ط 1، 1982م، ج 2، ص 1136.

[2]- المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية، الشَّاطبي، ج 4، ص 623.

[3]- المرجع نفسه، الصَّفحة نفسها.

[4]- شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب، الرَّضي، ج 4، ص 496.

[5]- شرح كتاب سيبويه، السَّيرافي، ج 4، ص 257.

واوا بعد ضمَّة، وياء بعد كسرة، وبناء على مذهب "يونس" يكون الوقف على ذلك، (هَلْ تَضْرِبِي) و (هَلْ تَضْرِبُوا) بلا نون، فالياء والواو عند "يونس" عوضا أو بدلا من نون التَّوكيد الخفيفة.[1]

وممَّا وافق "يونس" في هذا الرَّأي نجد "الأشموني" يقول: "إذا وقفت على (اضْرِبَانْ) على مذهب "يونس" ردَّت ألفا عوض النُّون فاجتمعا ألفان فَهَمَزْتَ الثَّانية فقلت: (اضْرِبَاءْ)".[2]

وفي شرح المعلَّقات وردت كلمة (لَتَكْتَنِفَنْ) في شعر "طرفة" في وصف النَّاقة:

كَقَنْطَرَةِ الرُّمِي أَقْسَمَ رَبُّهَا ★★★★★ لَتَكْتَنِفَنْ حَتَّى تُشَادَ بَقَرْمَدِ.[3]

وقال فيها بعض الشُّرَّاح: أقسم بالنُّون الخفيفة والوقف عليها بالألف عوضا عن التَّنوين، ولا عوض منها إذا كان قبلها ضمَّة أو كسرة، لأنَّهم أشبهوها بالتَّنوين في الأسماء، لأنَّك تعوَّض منه في موضع النَّصب ولا تعوَّض في موضع الرَّفع والجرِّ، أو لأنَّ النُّون تحذف في الأفعال لالتقاء السَّاكنين والتَّنوين في الأسماء، فالاختيار فيه التَّحريك لأنَّ ما يدخل في الأسماء أقوى ممَّا يدخل في الأفعال، يقول بأنَّ هذه النَّاقة كالأرج لانتفاخ جوفها"[4]، وكأنَّ الهدف من هذا الحذف هو التَّخفيف في النُّطق.

إلَّا أنَّنا نجد في هذه المسألة ترجيح "سيبويه" لرأي "الخليل" ولم يعتمد برأي "يونس"، كما أنَّ معظم النُّحَاة وافقوا ما ذهب إليه "الخليل"، لأنَّ عليه لغة العرب، وأمَّا ما اعتمد عليه "يونس" فهو مذهب فريد ولم يعتمد على لغة العرب الفصيحة، بل اعتمد على لغة أهل اليمن وهي لغة غير

[1]- ينظر: الكتاب لسيبويه، ج 3، ص 523. وشرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب، الرَّضي، ج 4، ص 496.

[2]- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ج 1، ص 293.

[3]- ديوان طرفة بن العبد، الوائلي، تح: مهدي محمد ناصر الدِّين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1423هـ، ص 22.

[4]- شرح المعلَّقات التِّسع، الشَّيباني، تح: عبد المجيد همّو، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ط 1، 1422هـ، ص 49.

فصيحة، وهذا ما أكَّده "الشَّاطبي" في قوله: "ولكن العرب على ما يقوله "الخليل" وليس مع "يونس" سماع، وإنَّما قاله بالقياس على المفتوح، والمصير إلى ما قالته العرب وهو واجب".[1]

3/ مسألة المنقوص الممنوع من الصَّرف لصيغ منتهى الجموع:

يعدُّ الممنوع من الصَّرف أحد المباحث اللُّغوية المهمَّة في اللُّغة العربية، فهو الاسم المعرب الذي لا يلحقه التَّنوين، فلا تكون الكسرة علامة جرِّه إلَّا إذا اقترن بـ: (أل) التَّعريف أو أضيف، أمَّا التَّنوين فلا يلحقه إطلاقا، والتَّنوين يلحق الأسماء المنقوصة لصيغة منتهى الجموع كـ (جِوَارٍ) وَ (غَوَاشٍ) وهذا ما ذهب إليه "الخليل" إلَّا أنَّ "يونس" ذهب إلى إثبات ياء المنقوص وإظهار الفتحة عليه كما تظهر في النَّصب ومنعه من التَّنوين، فهذا ما نجده في قول "سيبويه": "وأمَّا **"يونس"** فكان ينظر إلى كلِّ شيء من هذا إذا كان معرفة كيف حال نظيره من غير المعتلّ معرفة، فإذا كان لا ينصرف لم ينصرف، يقول: (هَذَا جِوَارِي قَدْ جَاءَ)، و (مَرَرْتُ بِجِوَارِي قَبْلُ): وقال **"الخليل"** هذا خطأ لو كان من شأنهم أن يقولوا هذا في موضع الجرِّ لكانوا خلقاء، أن يلزموا الرَّفع والجرَّ.[2]

استنادا إلى قول "سيبويه" يتَّضح لنا الخلاف بين "يونس" وَ "الخليل" حول المنقوص الممنوع من الصَّرف، وكان خلافهم كالآتي:

ذهب "يونس" إلى أنَّ كلَّ ما كان نظيره من الصَّحيح لا ينصرف لم ينصرف في المعتل، فيقول: (هَذَا جِوَارِيَ قَدْ جَاءَ) بإثبات الياء وتسكينها من غير تنوين، ولا ينوَّن في رفع ولا جرٍّ، بل يثبت الياء في الرَّفع ويفتحها في الجرِّ كما يفعل ذلك في الصَّحيح.

[1]- المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية، الشَّاطبي، ج 4، ص 624.

[2]- ينظر: الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 312.

أمَّا "الخليل" ويوافقه "سيبويه" فخطَّأ "يونس" في هذا الرَّأي وذهب إلى أنَّ كلَّ ما كان آخره ياء زائدة أو أصلية منقلبة عن واو نكرة أو معرفة، فإنَّه في حال الجرِّ والرَّفع منوَّن وأمَّا في النَّصب إذا كان منصرف فإنَّه منوَّن، وإذا كان غير منصرف فيفتح ولم ينوَّن والتَّنوين عوضا عن الياء المحذوفة.

كما يتبيَّن أنَّ الخلاف بين "الخليل" و"يونس" منحصر في أسماء الأعلام بدليل قول "يونس": (هَذَا جِوَارِي قَدْ جَاءَ) وَ (مَرَرْتُ بِجِوَارِي قَبْلُ) وهذا ما أكَّده "ابن جنِّي" في خصائصه (باب تركيب المذاهب): "وكان "أبو عثمان" أيضا يرى رأي "سيبويه" في صرف نحو (جِوَارٍ) علما وإجرائه بعد العَلَمِية على ما كان عليه قبلها، فيقول في رجل أو امرأة اسمها (جِوَارٍ) علما أو (غَوَاشٍ) بالصَّرف في الرَّفع والجرِّ على حاله قبل نقله، و"يونس" لا يصرف ذلك ونحوه علما ويجريه مجرى الصَّحيح في ترك الصَّرف".[1]

وما نلاحظه على قول "ابن جنِّي" أنَّه يفسِّر لنا ما ذهب إليه "يونس" وَ "سيبويه"، أي أنَّ هذا الأخير كان موافقا "للخليل" في رأيه وأخذ به، وقد استند "يونس" في ذلك إلى بيتين من الشِّعر:

الأوَّل في قول "الفرزدق":

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ الله مَوْلَى هَجْوْتُهُ ★★★★★ وَلَكِنْ عَبْدَ الله مَوْلَى مَوَالِيَا.[2]

الشَّاهد في هذا البيت (مَوَالِيَا)، قال صاحب "الصَّحاح": "وإنَّما قال (مَوَالِيَا) لأنَّه ردَّه إلى أصله للضَّرورة، وإنَّما لم ينوَّن لأنَّه جعله بمنزلة غير المعتل الذي لا ينصرف".[3]

[1]- الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، عبد العال سالم مكرم، ص 149.

[2]- البيت للفرزدق، شرح التَّصريح بمضمون التَّوضيح، خالد الأزهري، ج 2، ص 229. وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ج 2، ص 541. وخزانة الأدب، البغدادي، ج 1، ص 114.

[3]- خزانة الأدب، البغدادي، ج 1، ص 235.

وقال "الأعلم" في شرح أبياته: "الشَّاهد في إجرائه (مَوَالِي) على الأصل ضرورة، وكان الوجه (مَوَالٍ) كـ (جِوَارٍ) ونحوه من الجمع المنقوص فاضطرَّ إلى الإتمام والإجراء على الأصل كراهة الزِّحاف".[1]

وما يتبيَّن لنا أنَّ لفظة (مَوَالِي) هنا شأنها حذف الياء لأنَّ المنقوص تحذف ياؤه وينوَّن، فالشَّاعر ردَّ اللَّفظة إلى أصلها، ولما كانت (مَوَالِي) على وزن (مَفَاعِلْ) منعها من الصَّرف فجرَّها بالفتحة، وَ"المولى الحليف هو الذي يقال له مولى الموالاة والحليف المعاهد، يُقَالُ: مِنْهُ تَحَالَفَا، إِذَا تَعَاهَدَا وَتَعَاقَدَا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُمَا وَاحِدًا فِي النُّصْرَةِ وَالحِمَايَةِ".[2]

وفي هذا البيت يرى "الأشموني" (ت 329 هـ) "أنَّ "يونس" يجريها مجراها الصَّحيح فيمنعها من الصَّرف، ويجريها بفتحة ظاهرة".[3]

والآخر قول الشَّاعر:

قَدْ عَجِبْتُ مِنِّي وَمِنْ يُعَيْلِيَا ★★★★★ لَمَّا رَأَتْنِي خَلْقًا مَقْلُوبِيًّا.[4]

الشَّاهد فيه (يُعَيْلِيَا) وهو عَلَمٌ موزون للفعل وَ (يُعَيْلَى) تصغير (يَعْلَى) وهو اسم رجل، لهذا يقول "الشَّنتمري" في هذا البيت: "هذا عند "يونس" غير ضرورة لأنَّ (يُعَيْلِيَا) تصغير (يَعْلَى) وهو لا ينصرف".[5]

[1]- المصدر السَّابق، ج 1، ص 234.

[2]- المصدر نفسه، ج 1، ص 83.

[3]- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ج 3، ص 171.

[4]- البيت منسوب للفرزدق، شرح التَّصريح بمضمون التَّوضيح، خالد الأزهري، ج 2، ص 223. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ج 2، ص 541. خزانة الأدب، البغدادي، ج 1، ص 114.

[5]- النُّكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشَّنتمري، ج 2، ص 511.

وقد اعتمد "يونس" على هذه الأبيات الشِّعرية، فيفتح الياء في المعتل كما يفعلها في الصَّحيح، وذهب هذا المذهب قبل "يونس" شيخه "عيسى" (ت 149 هـ) وكذلك "الكسائي" (ت 189هـ)، و "أبو زيد" (ت 215 هـ) إلى أنَّها ممنوعة من الصَّرف، يقول "ابن مالك" (ت 672 هـ) وأمَّا "يونس" وَ "أبو زيد" وَ "عيسى" وَ "الكسائي"، فيقولون في (قَاضٍ) اسم امرأة، (هَذِهِ قَاضِيَ) وَ (رَأَيْتُ قَاضِيَ) وَ (مَرَرْتُ بِقَاضِيَ) فلا ينوِّنون في رفع ولا جرٍّ، بل يثبتون الياء ساكنة في الرَّفع، فيفتحونها في الجرِّ كما يفعل بالصَّحيح".[1]

ومعنى هذا أنَّ "يونس" غير مبتكر لهذا الرَّأي وإنَّما سبقه في ذلك شيوخه، ويبسِّط "أبو علي" وجهة نظر "يونس" ومن نحا نحوه قائلا: "وأخبرنا "أبو بكر" عن "أبي العبَّاس" عن "عثمان"، أنَّه قال: "كان "عيسى بن عمر" وَ "يونس" وَ "أبو زيد" وَ "الكسائي" ينظرون إلى باب (جِوَارٍ) فما لا يلحق في نظيره من الصَّحيح التَّنوين لم يحذفوه وما لحقه التَّنوين في نظيره من الصَّحيح نوَّنوه، فكانوا يقولون: (هَؤُلَاءِ جِوَارِي) وَ (مَرَرْتُ بِجِوَارِي)، فلا يحذفون الياء ولا ينوِّنون، لأنَّ نظيره من الصَّحيح لا ينوَّن، فهؤلاء لم يذهبوا إلى أنَّ الياء من (جِوَارٍ) حذفت حذفا كما ذهب "سيبويه"، لكنَّهم قدَّروا أنَّ الياء تحذف لاجتماع السَّاكنين، فإذا لم يجتمعا لم تحذف".[2]

ومعنى هذا أنَّ "يونس" ومن تبعه في هذا الحكم، يقيسون (جِوَارِي) على الصَّحيح، وبذلك لا يحذفون الياء ولا ينوِّنون، لأنَّ أصل (جِوَارٍ) قبل الحذف كما ذهب إليه "الخليل" وَ "سيبويه" (جِوَارِي) بوجود الياء، يقول "المخزومي" (لمذهب الكسائي): "في (جِوَارٍ) ليست هي عنده عارضة كالمنقوص في اللَّفظ، وإنَّما كان يجري بها مجرى الممنوع من الصَّرف فيجريها بالفتحة".[3]

[1]- شرح الكافية الشَّافية، ابن مالك، ج 3، ص 1506-1507.

[2]- التَّعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي، ج 3، ص 120-121.

[3]- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنَّحو، المخزومي، ص 114.

نجد "المبرِّد" يوافق "يونس" في مذهبه، يقول: "التَّنوين عندي من حركة لا غير، وذلك أنَّ الياء كان يجب أن تكون في هذا الباب ساكنة غير محذوفة"[1]، كما أنَّه يستبعد رأي "الخليل" في حذفه الياء وتعويضه بالتَّنوين، وهذا ما أكَّده بقوله: "حذفوا الياء في الرَّفع والجرِّ لتوهُّم التقاء السَّاكنين، ثمَّ عوَّضوا عمَّا حذف التَّنوين الظَّاهر وهو بعيد لأنَّ الحذف لملاقاة ساكن متوهَّم الوجود، ممَّا لم يوجد له نظير ولا يحسن ارتكاب مثله".[2]

وإلى قريب من ذلك ذهب "الزَّجَّاج" إلى أنَّ التَّنوين عوض من ذهاب حركة الياء، وأنَّ الياء محذوفة لالتقاء السَّاكنين وهو ضعيف، لأنَّه لو صحَّ التَّعويض عن حركة الياء لكان التَّعويض عن حركة الألف في نحو: (مُوسَى) وَ (أُولَى).[3]

وما نفهمه من رأي "يونس" أنَّه تعامل مع الكلمات (جِوَارِي/غَوَاشِي) على الأصل وهو شيء مطَّرد عندهم، فحملوا المعتلّ على الصَّحيح وعاملوه معاملة الصَّحيح ولم ينوِّنوه عوض في حالتي الرَّفع والجرِّ.

أمَّا "الخليل" فذهب إلى أنَّ تنوين (جِوَارٍ) هو تنوين عوض في الرَّفع والجرِّ، قال "سيبويه": "سألت "الخليل" عن رجل يسمِّي (جِوَارٍ) فقال في حالة الجرِّ والرَّفع بمنزلة قبل أن يكون اسما، ولو كان من شأنهم أن يدعو صرفه في المعرفة لتركوا صرفه قبل أن يكون معرفة، لأنَّه ليس شيء من الانصراف بأبعد من (مَفَاعِلْ) وَ (فَوَاعِلْ) ونحو ذلك، قلت فإن جعلته اسم امرأة، قال: أصرفها لأنَّ التَّنوين جعل عوضا".[4]

[1]- شرح الرَّضي لكافية ابن الحاجب، الرَّضي، ج 1، ص 135.

[2]- المقتضب، المبرِّد، ج 3، ص 309.

[3]- شرح ابن النَّاظم على ألفية ابن مالك، ابن النَّاظم، ص 460.

[4]- الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 310.

والذي يفهم من قول "سيبويه" أنَّ (جِوَارِي) حينما تسمِّي بها أحدا من النَّاس تبقى على ما كانت عليه قبل التَّسمية، أي أنَّها مصروفة، فهي بعيدة عن صيغ منتهى الجموع وأنَّ تنوينها هو عوض عن الياء المحذوفة.

يفسِّر لنا "أبو علي" اعتلال "الخليل" قائلا: "لو كان حكم المعتلّ الصَّحيح لكان تحرّك في موضع الرَّفع والجرِّ كما تحرَّك الصَّحيح، فإذا جاز المعتلُّ فلا يحرَّك في هذين الموضعين ويخالف الصَّحيح فيهما فلا ينكر أن يخالفه في حذف الياء منه وفي بيان التَّنوين فيه عوضا منه".[1]

وبيان تفسير "الفارسي" أنَّه لو كان من شأنهم أن يلزموا الحركة حالة الجرِّ فيجرونه مجرى الصَّحيح لكان من حقِّهم أن يلزموا الحركة في حالة الرَّفع أيضا، فكان يلزمهم أن يقولوا (مَرَرْتُ بِقَاضِيَ) اسم امرأة، فكذلك يلزمهم أن يقولوا: (هَذَا قَاضِيُ) إذا كانوا يجرون المعتلّ هنا مجرى الصَّحيح.

وفي نفس السِّياق قال "أبو إسحاق": "وهو أنَّ التَّنوين إنَّما دخل في هذا الوزن لأنَّه عوض من ذهاب حركة الياء، فلمَّا جاء التَّنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة التقى ساكنان فحذفت الياء"[2]، أي أنَّ اجتماع ساكنين (الياء والتَّنوين) حذفت الياء فالأصل في (جِوَارٍ) (جِوَارِي) بوجود الياء، فلمَّا جاء التَّنوين صارت (جِوَارٍ) فحذفت الياء للتَّخلُّص من التقاء السَّاكنين فصارت الكلمة (جِوَارٍ) بالتَّنوين ثمَّ حذف التَّنوين.

ويفسِّر لنا "ابن جنِّي" سبب الحذف في الرَّفع الذي هو الثِّقل: "ما ذكرناه ثقلا مع ذلك في آخر الياء وهي مستثقلة".[3]

[1]- التَّعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي، ج 3، ص 120-121.

[2]- خزانة الأدب، البغدادي، ج 1، ص 238.

[3]- سرُّ صناعة الإعراب، ابن جنِّي، ص 170.

وجاء في "معاني القرآن وإعرابه" قوله تعالى: ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ ﴿٤١﴾﴾[1]، فزعم "الخليل" و"سيبويه" أنَّ النُّون في (غَوَاشٍ) عوض من الياء لأنَّ (غَوَاشٍ) لا تنصرف، والأصل فيها (غَوَاشِيْ) بإسكان الياء، فإذا ذهبت الضمَّة أدخلت التَّنوين عوضا منها.

وورد أيضا في "مشكل إعراب القرآن" "أنَّ (غَوَاشٍ) في الآية الكريمة مبتدأ والمجرور خبرها وأصلها لا تنصرف لأنَّها على (فَوَاعِلْ) مثل (سَلَاسِلْ) في ترك الصَّرف، وواحدتها (غَاشِيَةٌ)، إلَّا أنَّ التَّنوين دخلها عوضا من ذهاب حركة الياء المحذوفة، فلمَّا التقى ساكنان سكون الياء لتنقل الضمَّة التي عليها والتَّنوين حذفت الياء لالتقاء السَّاكنين فصار التَّنوين تابعا للكسرة التي كانت قبل الياء المحذوفة، وقيل: بل حذفت الياء حذفا فلمَّا نقص البناء عن فواعل دخله التَّنوين فصار فواعنٍ، مثل: (جِوَارٍ).

نجد "السَّيرافي" يؤيِّد رأي "الخليل" يقول: "فمذهب "الخليل" وَ "سيبويه" في امرأة (قَاضٍ) (هَذِهِ قَاضٍ)، وَ (مَرَرْتُ بِقَاضٍ) منوَّنا، وَ (رَأَيْتُ قَاضِيَ) مفتوح غير منوَّن، وقول "الخليل" هو الجيِّد، لأنَّ ما كان من الجمع على (فَوَاعْلِ) أو غير ذلك من بنية الجمع الذي ثالثه ألف وبعده حرفان لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، فإذا دخل التَّنوين على (غَوَاشٍ) وهو لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، فدخوله على (قَاضِي) اسم امرأة أَوْلَى، لأنَّها لا تنصرف في النَّكرة".[2]

فالتَّنوين إذن هو عوض عن الحرف الأصلي المحذوف، وعند الإعراب نقول بأنَّ: "الكلمة مرفوعة بالضمَّة على الياء المحذوفة، ومجرورة بفتحة نيابة عن الكسرة فوق الياء المحذوفة والتَّنوين الظَّاهر هو عوض عن الياء المحذوفة".[3]

[1]- سورة الأعراف، الآية 41.

[2]- شرح كتاب سيبويه، السَّيرافي، ج 4، ص 75.

[3]- النَّحو الوافي، عبَّاس حسن، دار المعارف، مصر، ط 3، (د ت)، ج 1، ص 39.

رجَّح "ابن مالك" مذهب "الخليل" قائلا: "ومذهب "الخليل" هو الصَّحيح لأنَّ نظائر (جِوَارٍ) من الصَّحيح لا ينوَّن في تعريف ولا تنكير وقد نوِّن، ونظائر (قَاضٍ) اسم امرأة لا ينوَّن في تعريفه وينوَّن في تنكير، فتنوينه أَوْلَى من تنوين (جِوَارٍ)".[1]

وجعل "أبو حيَّان" ما نحا إليه "يونس" من باب الوهم والخطأ ومخالفة العربية، "وما ذكره "أبو علي" من أنَّ "يونس" وهؤلاء ذهبوا إلى أنَّه لا تحذف الياء إذا كان (جِوَارٍ) نكرة ولم يسمَّى به فنقول (هُنَّ جِوَارِي) وَ (مَرَرْتُ بِجِوَارِيَ)، فلا ينوَّن وهم وخطأ ومخالفة لِلُغة العرب والقرآن".[2]

وإلى ذلك ذهب "المرادي" (ت 749 هـ) إلى أنَّ التَّنوين تنوين صرف موافقا في ذلك مذهب "الخليل"، ويرى ذلك لأنَّ الياء عندما تحذف يكون ذلك للتَّخفيف[3] ومعنى هذا القول أنَّ العرب دائما تلجأ إلى الحذف وذلك للخِفَّة في النُّطق.

ويرى "عبَّاس حسن" في كلمة (جِوَارِي) وما يشبهها كـ (بَوَاقِي، نَوَامِي، مَوَاضِي) أمرين:[4]

- **الأوَّل**: على اعتبار أنَّ الكلمة المجموعة كانت ممنوعة من الصَّرف أوَّل الأمر عند تكسيرها، ثمَّ وقع الحذف والتَّعويض.
- **الثَّاني**: على اعتبار أنَّها لم تكن ممنوعة من الصَّرف أوَّل الأمر وإنَّما وقع الحذف والتَّعويض قبل منعها من الصَّرف، فيقال فيها: (بَوَاقِي) (نَوَامِي) (مَوَاضِي)، بالتَّنوين في كلِّ هذا، ثمَّ حذفت الضمَّة الأولى وحدها، لأنَّها ثقيلة على الياء فحذفت الياء ثمَّ التَّنوين، فالتقى ساكنان لا يجوز اجتماعهما (الياء والتَّنوين) فحذفت الياء أوَّلا ثمَّ حذف التَّنوين بعدها لأنَّ الكلمة ممنوعة من الصَّرف لصيغ منتهى المجموع، فمنع

[1]- شرح الكافية الشَّافية، ابن مالك، ج 3، ص 1507.

[2]- ارتشاف الضَّرب من لسان العرب، أبو حيَّان الأندلسي، ج 2، ص 890.

[3]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، ج 4، ص 1199.

[4]- النَّحو الوافي، عبَّاس حسن (الحاشية)، ج 1، ص 39.

الصَّرف في الحالة الأولى سابق في وجوده على الحذف، أمَّا في الحالة الثَّانية فكان الحذف هو السَّابق والمقدَّم على منع الصَّرف في رأيهم.

والتَّنوين في العربية أربعة أنواع: تنوين التَّمكين، تنوين المقابلة، تنوين التَّنكير وتنوين التَّعويض، والتَّنوين الذي جاء في هذه المسألة هو تنوين التَّعويض، أي عوضا أو بدلا عن الياء المحذوفة.

يتبيَّن لنا من هذه المسألة أنَّ رأي "الخليل" هو الرَّاجح ووافقه في ذلك "سيبويه" وأغلب البصريين وهذا الذي قرَّره شرَّاح "الكتاب"، وذلك أنَّ الاسم المنقوص إذا منع من الصَّرف للتَّسمية وكان نظيره من الصَّحيح الآخر ممنوعا من الصَّرف أو غير ممنوع، فإنَّه يجري مجرى (جِوَارٍ) في الإعلال، فلا فرق بين حالة التَّنكير والتَّعريف، فلا فرق بين (جِوَارٍ) جمعا ومفردا، ولا بين (قَاضٍ) نكرة ومعرفة، خاصَّة أنَّ من أهمِّ خصائص اللُّغة العربية أنَّها تعتمد على الخفَّة وهذا ناتج عن الحذف.

4/ مسألة (لبَّيك) بين الإفراد والتَّثنية:

إنَّ التَّثنية لا يراد بها اثنان فقط، فيكون الغرض منها أيضا التَّكثير وأنَّه شيء يعود مرَّة بعد أخرى، وهذا ما نلاحظه في كلامنا، فإذا قلنا (ادْخُلُوا الأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ)، والغرض هنا أن يدخل الكلّ، ولا تعود إلى تكريره مرَّة أخرى، فيفهم أن يعود بعد الأوَّل ونكتفي باللَّفظ الأوَّل، وإن كان اللَّفظ يثنَّى، فهناك أيضا مصادر سمعت مثنَّاه نحو: "(لَبَّيْكَ) (سَعْدَيْكَ) (حَنَانَيْكَ) (دَوَالَيْكَ) (حَذَارَيْكَ)"[1]، وهذه المصادر بصورة المثنَّى لا يراد منها التَّثنية وإنَّما يراد بها التَّكثير، وحول هذه المصادر اختلف "يونس بن حبيب" وَ "الخليل بن أحمد"، يقول "سيبويه": "وزعم **"يونس"** أنَّ (لَبَّيْكَ) اسم واحد ولكنَّه جاء على هذا اللَّفظ في الإضافة، كقولك (عَلَيْكَ) وزعم **"الخليل"** أنَّها تثنية بمنزلة (حَوَالَيْكَ) لأنَّنا سمعناهم يقولون (حَنَانْ)، ولست تحتاج في هذا الباب إلى أن تفرد، لأنَّك إذا أظهرت الاسم

[1]- جامع الدُّروس العربية، مصطفى الغلاييني، راجعه: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية للطِّباعة والنَّشر، بيروت/لبنان، ط 30، 1414هـ/1994م، ج 3، ص 41.

تبيَّن أنَّه ليس بمنزلة (عَلَيْكَ) وَ (إِلَيْكَ)، لأنَّك لا تقول: (لَبَّا زَيْدٍ)، و (سَعْدَى زَيْدٍ)، وقال من (المتقارب):

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَرًا ★★★★★ فَلَبَّى فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ.

فلو كان بمنزلة (عَلَى) لقال: (فَلَبَّى يَدَيْ مِسْوَرٍ)، لأنَّك تقول: (عَلَى زَيْدٍ) إذا أظهرت الاسم.[1]

ف (لَبَّيْكَ) من المصادر المثنَّاة تثنية يراد بها التَّكثير لا حقيقة التَّثنية، (فَلَبَّى) ونحوها ك (دَوَالَيْ) و (سَعْدَيْ) هي مصادر مثنَّاة تلزم الإضافة إلى المضمر فنقول: (لَبَّيْكَ) و (سَعْدَيْكَ) و (دَوَالَيْكَ)، والتَّقدير في (لَبَّيْكَ): أجبت إجابتك، وهو من ألبَّ بالمكان إذا قام به، وورد في كتاب "سيبويه" كأنَّما أراد بقوله: (لَبَّيْكَ) و (سَعْدَيْكَ) إجابة كأن يقول: كلَّما أجبتك في أمر فأنا في الأمر الآخر مجيب وكأن هذه التَّثنية أشدّ توكيدا.[2]

و (دَوَالَيْكَ) أي تداول بعد تداول، قال "عبدو بن الحسحاس":

إِذَا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بِالْبُرْدِ مِثْلُهُ ★★★★★ دَوَالَيْكَ حَتَّى لَيْسَ لِلْبُرْدِ لَابِسُ.[3]

وَ (دَوَالَيْكَ) في البيت الشِّعري جاءت حاملة معنى المداومة، وهي على صيغة المبالغة.

وعدَّ "العكبري" هذه المصادر (لَبَّيْكَ) وَ (سَعْدَيْكَ) وَ (حَنَانَيْكَ) وقدَّرها بـ (أقمت) على طاعتك إقامة بعد إقامة، وسعدت بها سعدا بعد سعد، وتحنُّن بعد تحنُّن، وهو عنده دلالة على

[1]- الكتاب، سيبويه، ج 1، ص 351.

[2]- المصدر نفسه، ج 1، ص 175

[3]- خزانة الأدب، البغدادي، ج 1، ص 271. والصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، ط 4، 1990م، ص 573.

التَّثنية، ثمَّ تكلَّم على اشتقاق (لبَّيك) من اشتقاق (ألبَّ) بالمكان، وَ (لبَّى) به إذا قام، فهو موافق "للخليل" في زعمه.[1]

ويشرح لنا الشَّيخ "خالد الأزهري" هذا الخلاف؛ حيث قال: "وشدَّت إضافة (لبَّيْ) إلى الظَّاهر في نحو قوله: وهو أعرابي من بني أسد:

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَرًا ★★★★★ فَلَبَّى فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ.[2]

وقال "سيبويه" هذا البيت فيه ردٌّ على "يونس" في زعمه أنَّه أي (لبَّيْ) مفرد وأصله (لبَّا) بألف بعد الموحَّدة على وزن (فعلى) بسكون العين، فقلبت ألفه ياء لأجل الضَّمير، كما قلبت في (لدى) و(على) لاتِّصال الضَّمير بهما، إذ يقال فيهما: (لديك) و (عليك).

ووجه الرَّدِّ من البيت أنَّ الياء قد وجدت مع الظَّاهر، ولو كانت ألفه كألف (لدى) و (على) لم تنقلب مع الظَّاهر، إذ يقال: (لدى الباب)، و (على زيد)، ببقاء الألف على حالها".[3]

ومعنى هذا أنَّ الأصل في (لبَّيك) عند "الخليل" (لبَّ) على وزن (فعليك)، وعند "يونس" أصلها (لبَّا) بالألف في آخر الكلمة على وزن (فعْلى) بسكون العين، فقلبت الألف ياء لأجل ضمير (الكاف) وقد أكَّد "الأعلم" أنَّ الكاف في (لبَّيك) وأخواته حرف خطاب لا موضع له من الإعراب ويجوز استعمالها وحدها وأمَّا (سعديك) فلا تستعمل إلَّا تابعا لـ (لبَّيك).[4]

---

[1]- ينظر: اللُّباب في علل البناء والإعراب، العكبري، ج 1، ص 465.

[2]- البيت من المتقارب وهو منسوب لرجل من بني أسد، وهو من الخمسين المجهولة عند سيبويه، ينظر: كتاب سيبويه، ج 1، ص 352، شرح الجمل لابن عصفور، ج 2، ص 414، شرح التَّسهيل لابن مالك، ج 1، ص 147، وشرح الأشموني، ج 2، ص 251.

[3]- التَّصريح بمضمون التَّوضيح، خالد الأزهري، ج 3، ص 149-150.

[4]- ينظر: خزانة الأدب، البغدادي، ج 2، ص 96.

ومعنى (لبَّيك) إذن: أي لزوم الطَّاعة أو إلبابا بعد إلباب وفي هذا السِّياق نجد "أبو البركات الأنباري" يقول: "سمعت "أبا العبَّاس" يقول معنى (لبَّيك) أي مقيم على طاعتك وإجابتك، من قولهم (لبَّ) الرَّجل في المكان وَ (ألبَّ) إذا أقام فيه، قال الشَّاعر:

مَحَلُّ الهَجْرِ أَنْتَ بِهِ مُقِيمُ ★★★★★★ مُلِبُّ مَا تَزُولُ وَلَا تَرِيمُ.[1]

اعتبر "الهمداني" قوله: (لبَّيْ) شاذ وقد أكَّد ذلك بقوله: "وقد أنشد "سيبويه" لهذا البيت للاستدلال به على أنَّ (لبَّيك) مثنَّى، وليس اسما مفرد بمنزلة (لدى) و (الفتى)، ووجه الاستدلال أنَّ الشَّاعر أثبت الياء مع (بِكْرْ)، ولو كان مفردا لقال: (لبَّى يدي) بالألف، كما تقول: (لدى زيد) و (فتى العرب)".[2]

أي أنَّ في هذا البيت ردّ على "يونس"، وذلك ليبرهن أنَّ (لبَّيك) مثنَّى وليس اسم مفرد، وفي هذا السِّياق يفسِّر لنا "ابن برِّي" قوله: (فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرًا) يقول: لبَّي يدي مسورا إذا دعاني أجيبه كما يجيبني، ومعنى (لبَّ) عند "الخليل" هي الإقامة بالمكان، يقال: (ألببت بالمكان)، ولببت لغتان إذا أقمت به، ثمَّ الباء الثَّانية استثقالا كما قالوا (تظنَّيت)، وإنَّما أصلها (تظنَّنت)"[3]، أي أنَّ أصل (لبَّ) (لبب) على وزن (فعل) وهذا ثقيل عند العرب فأدغمت الباء الثَّانية مع الباء الأولى.

واحتجَّ "ابن جنِّي" لمذهب "سيبويه" بأمرين:

- **الأوَّل**: أنَّه إذا كانت مثنَّاة لا بدَّ عند إضافتها أن تردّ إلى أصلها إذ تعود الألف بدل الياء كما في (إلى) وَ (على) وَ (لدى) عند إضافتها إلى الظَّاهر فتقول: (إلى زيد)،

[1]- شرح المفصَّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتَّخمير، الخوارزمي، ج 1، ص 310.

[2]- شرح ابن عقيل، الهمداني، ج 2، ص 53.

[3]- لسان العرب، ابن منظور، ج 13، ص 166.

وَ(على جعفر) وَ (لدى سعيد)، وعلى هذا كان واجبا أن تقول: (لبَّى زيدٍ) وَ (لبَّى جعفرٍ).

- **الثَّاني**: الإضافة إلى الاسم الصَّريح دلالة على المثنَّى فقولهم: (لبَّيك) بالياء مع إضافتها إلى الضَّمير دلالة واضحة على المثنَّى وشبَّه ذلك بقولهم: (غلامي زيدٌ) و (صاحبي سعيدٌ).[1]

ونفهم من هذا أنَّ "ابن جنِّي" لا فرق عنده بين المضمر والظَّاهر في اتِّصال الأسماء بهما وشبَّه ذلك في الوصل والوقف في قول (غلاميْ زيد) و (صاحبيْ سعيد)، وهذا ما أكَّده أيضا "الجوهري" (ت 398 هـ) فوافق "سيبويه" في البيت الشِّعري إذ قال ولو كانت بمنزلة (على) لقال: (فلبَّى يَدَيْ مِسْوَرٍ) لأنَّك تقول (على زيد) إذا أظهرت الاسم، وإذا لم تظهر تقول (عليه)".[2]

فـ: "الخليل" في مذهبه اعتمد على ما سمعه من كلام العرب، ووافقه في ذلك "ابن السرَّاج" إذ قال: ومنه (لبَّيك)، و (حنانيك) وهذا مثنَّى وجميع ذا الباب إنَّما يعرف بالسَّماع ولا يقاس".[3]

وذهب إلى ذلك أيضا "ابن يعيش" قائلا: "وأمَّا (لبَّيك) و (سعديك) فهما مثنَّيان، ولا يفرد منهما بشيء، ولا يستعملان إلَّا مضافين"[4]، وعلَّل لذلك أنَّ التَّثنية هنا لإرادة معنى التَّكثير.

ويعدُّ "ابن سيده" رأي "الخليل" هو الرَّاجح وهذا ما نجده في قوله: "وقول "الخليل" هو الصَّواب من ثلاثة أوجه أحدهما: إفراده (حنان) تارة وتثنيته تارة في (حنانيك)، والثَّاني الإضافة إلى الظَّاهر مع

[1]- ينظر: سرُّ صناعة الإعراب، ابن جنِّي، ج 2، ص 747.

[2]- الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، الجوهري، ص 329.

[3]- الأصول في النَّحو، ابن السرَّاج، ج 2، ص 252.

[4]- شرح المفصَّل، ابن يعيش، ج 1، ص 291.

وجود الياء خلاف قولهم (على ذلك) وذلك على (لبَّى زيد) و (سعدى زيد)، والوجه الثَّالث: ما تقتضيه المبالغة من التَّثنية".[1]

وما نلاحظه على قول "ابن سيده" أنَّه إذا أظهرنا الاسم تبيَّن أنَّه ليس بمنزلة (على) و (سعدى) وهذه التَّثنية إنَّما يراد بها المبالغة والتَّكثير.

وما نبرهن به على صحَّة مذهب "الخليل" أنَّ التَّثنية قد وردت في القرآن الكريم تفيد التَّكثير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾.[2]

ومعنى كرَّتين: رجعتين، أي مرَّة بعد مرَّة، وإنَّما أمر بالنَّظر مرَّتين لأنَّ الإنسان إذا نظر في الشَّيء مرَّة لا يرى عيبه ما لم ينظر إليه مرَّة أخرى، فأخبر تعالى أنَّه وإن نظر في السَّماء مرَّتين لا يرى فيها عيبا، بل يتحيَّر بالنَّظر إليها[3]، فلذلك يمكن أن نعدَّ عموم التَّثنية دلالة على التَّكثير.

وأمَّا مذهب "يونس" فأفسده "ابن عصفور" بقوله: "ومذهب "يونس" أنَّه اسم مفرد كأنَّه عنده قبل الإضافة (لبَّا) وقلبت ألفه ياء لإضافتها إلى المضمر نحو: (لديك) و (عليك) وهذا فاسد بدليلين، أحدهما أنَّ (لبَّيك) قد تثبت فيه الياء مع إضافته إلى الظَّاهر في مثل قوله:

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَرًا ★★★★★ فَلَبَّى فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ.

والآخر أنَّه قد سمع (لبَّ) ولم يسمع (لبَّي) اسما"[4]، ومعنى هذا أنَّ كلام العرب حجَّة لذلك سمع "سيبويه" من النَّاس من يقول: (حنان) فعند ذلك تبيَّن أنَّه ليس بمنزلة (على) كما ذهب "يونس".

---

[1]- المخصَّص، ابن سيده، ج 6، ص 226.

[2]- سورة الملك، الآية 4.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 18، ص 194.

[4]- شرح الجمل، ابن عصفور، ج 2، ص 414.

كما ذكر "أبو حيَّان" مذهب "يونس" فردَّه؛ حيث قال: "وذهب "يونس" إلى أنَّه مفرد وأصله قبل الإضافة (لبًّا) وقلبت ألفه ياء لإضافته إلى المضمر، كما قلبوا في (لديك) وَ (عليك) وردّ مذهب "يونس" بأنَّه لو كان انقلاب الألف لأجل الضَّمير لما انقلبت مع الظَّاهر في قول الشَّاعر:

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَرًا ★★★★★ فَلَبَّى فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ.[1]

وبعد استقراء هذه الآراء نستنتج:

- **أوَّلا:** استناد "يونس" إلى القياس وذلك عند التَّشبيه بـ (عليك) وَ (إليك) وَ (لديك) فهي عنده مضافة إلى الياء.
- **ثانيا:** استناد "الخليل" على السَّماع وهذا يفنِّد رأي "يونس" لأنَّ السَّماع أقوى من القياس خاصَّة السَّماع الصَّريح من كلام العرب.

وما نلاحظه أيضا أنَّ القياس يستشهد به في المواضع التي لا سماع فيها، ممَّا يدلُّ على أنَّ القياس هنا لا قيمة له ما دام السَّماع موجودا، وهذا ما يعني أنَّ "يونس" انفرد برأيه في هذه المسألة خاصَّة أنَّ اللُّغة تبنى على القواعد الكثيرة ولا تبنى على القليل النَّادر، فالرَّاجح في هذه المسألة هو قول "الخليل" والجمهور.

تقويم عام:

- ما نلاحظه في هذا الباب أغلب المسائل الصَّرفية عولجت من الجزء الثَّالث من الكتاب.
- ميل "يونس" إلى السُّهولة في الكلام، وذلك باعتماده الحذف، وهي خاصِّية من خاصِّيات العرب والغرض من ذلك هو الخفَّة في الكلام، وهذا ما لاحظناه في مسألتي (الوقف على الاسم المنقوص في النِّداء) وَ (الوقف على النُّون الخفيفة المؤَكَّدة).

[1]- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ج 3، ص 154-155.

- اعتمدا "الخليل" على السَّماع من العرب، وانتصار "سيبويه" له في كلّ مسألة تتعلَّق بالسَّماع.
- استند "يونس" في تعليل مذهبه على الشَّواهد الشِّعرية.
- قياس "يونس" يبنيه على النَّظير من ذلك قياسه كلّ من كان آخره ياء زائدة أو أصلية أو منقلبة من واو في صرفه ومنعه من الصَّرف على نظيره الصَّحيح إذا كان معرفة، وقياسه أيضا (لبَّيك) على نظيره في اللَّفظ (عليك) بقلبه ألفها ياء.

الخاتمة

وبعد هذه الرِّحلة العلمية في رِحاب شخصيتين أسهمتا في بناء أصول النَّحو العربي، كما أثبت ذلك تلميذهما النَّجيب "سيبويه"، وكانت جملة النَّتائج التي خلصت إليها كالتَّالي:

1. لا يمكننا القول بأنَّ الخِلاف النَّحوي ظهر بشكل مباشر في كتاب "سيبويه"، وإنَّما هو ثمرة جهود متضافرة لكثير من الدَّارسين إلى أن وصل إلى أكمل وجه في الكتاب؛ حيث يمكننا اعتبار القياس هو نقطة بداية الخلافات النَّحوية.
2. يعدُّ "الخليل" وَ "يونس" أحد الأعمدة التي تأسَّس عليها النَّحو العربي.
3. أغلب المسائل التي اختلف فيها "يونس" مع "الخليل" كانت حول التَّأويل.
4. الخلاف بين "الخليل" وَ "يونس" كان أكثره في القضايا الصَّرفية.
5. فاضل "سيبويه" بين آراء شَيْخَيْهِ، غير أنَّ شخصية "الخليل" تفوق شخصية "يونس" في أغلب المسائل، وَهذا ما جعل النُّحَّاة يلقون اللَّوم بعدم إنصاف شخصية "يونس" وإعطائها ما تستحقُّ، وذلك يعود إلى الطَّريقة التي كان "سيبويه" يتَّبعها في ذكره لآراء "يونس" إذْ كانت تؤدِّي إلى اللُّبس، بحيث يصعب على الباحث أَنْ يميِّز بين ما هو رِواية محضة وما هو رِواية ورأي.
6. "سيبويه" لا يكتفي بدور المتلقِّي وإنَّما سألهم وحاورهم واستوثق ممَّا ذكروا، ممَّا يُضرَب له المثل في الأمانة في النَّقل عن الشَّيْخَيْنِ.
7. ما نُلاحظه في الكتاب أنَّ أغلب مسائل النَّحو والصَّرف لم تكن مقسَّمة أو مبوَّبة على النَّحو الذي نراه في كتب المتأخِّرين، فكثيرا ما تتَّصل البحوث النَّحوية والصَّرفية وتشتبك بغيرها من الموضوعات.
8. استند "يونس" وَ "الخليل" على السَّماع، غير أنَّ سماع "الخليل" قليل جدًّا إذا ما قورن بسماع "يونس"، فغلبت الرِّواية على "يونس" في حين غلب القياس والتَّحليل على

"الخليل"، فهذا لا يعني بعدم عناية "الخليل" بلغة العرب ولكنَّه يشير إلى طبيعة شخصيته التي تتَّسم بالعقلانية وإخضاع الشَّاهد للقاعدة والقياس العقلي.

9. "سيبويه" كان يرجع إلى "يونس" في الأمور المتعلِّقة بالسَّماع والحفظ، ويرجع إلى "الخليل" في الأمور المتعلِّقة بالتَّحليل والتَّفسير وهذا ما يقودنا إلى القول بأنَّ "يونس" يعتمد على الرِّواية والآخر يعتمد على الدِّراية.
10. ما نلاحظه في أغلب المسائل اعتماد "يونس" على الأقيسة الشاذَّة، وهذا ما جعله ينفرد برأيه في معظم المسائل، كما أنَّ طبيعة أقيسته تدور بين القياس على النَّظير وَالقياس على الأصول وتحكيم المعنى في القياس، فهو يعطي أهمِّية كبيرة للمعنى.
11. عِلل "يونس" تمتاز بالبساطة وبُعدها عن التَّكلُّف، لذلك كان "سيبويه" يصف رأيه بالسَّهل، وبهذا لا يمكن أن نصِف رأيه بالشاذِّ، بل نلمس له العذر في العديد من المسائل.
12. نلاحظ اتِّفاق الكوفيين مع "يونس" في بعض المسائل وهذا دليل على وجود اتِّفاق بين الكوفيين والبصريين.
13. يفسِّر لنا "يونس" الظَّواهر النَّحوية والصَّرفية تفسيرًا واقعيًّا، ومن ذلك قبوله أن تأتي الحال معرفة فأجاز تعريفه مطلقا بدون تأويل.
14. تجدر الإشارة إلى أنَّ الاتِّفاق بين "الخليل" وَ "يونس" هو الأصل، ذلك أنَّه شمل القضايا الكلِّية في اللُّغة، كما حدث ذلك في المذاهب النَّحوية، إذْ لم تُضِفْ المذاهب الأخرى (الكوفية، الأندلسية) الشَّيء الكثير لما جاءت به المدرسة البصرية، وبالتَّالي فقد اتَّفقا "يونس" وَ "الخليل" في العديد من المسائل، فالتَّعدُّد في الآراء النَّحوية لا يعني بالضَّرورة التَّعارض وإنَّما دلَّ على الخلاف في المنهج وطريقة تناول المسائل اللُّغوية.

فهذا ما تيسَّر لي ووقفت عليه من أوجه الخلاف بين "يونس" وَ "الخليل"، وتبقى هذه الدِّراسة بوَّابة وتحتاج للمزيد من البحث في المسائل الأخرى في الكتاب، فآمل أن أكون قد وفِّقت في تقديم صورة واضحة عنهما، وقد بذلت في طاقتي ما وسعني من الجهد راجية من الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أوَّلا/ الكتب والمعاجم:

1. أخبار النَّحويين البصريين، أبو سعيد السَّيرافي، تح: محمَّد الزَّغبي/محمَّد عبد المنعم خفاجي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط 1، 1955م.
2. أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر فيَّاض العلواني، الدَّار العلمية للكتاب، قطر، ط 1، 1412هـ.
3. أدب الكاتب، ابن قتيبة، تح: محمد الدَّالي، مؤسَّسة الرِّسالة، (د ط)، (د ت).
4. ارتشاف الضَّرب من لسان العرب، أبو حيَّان الأندلسي، تح: رجب عثمان محمَّد/رمضان عبد التَّوَّاب، مكتبة الخانجي، ط 1، 1418هـ/1998م.
5. أسرار العربية، أبو بكر الأنباري، تح: محمَّد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي، دمشق، (د ط)، 1377هـ/1957م.
6. الأشباه والنَّظائر، السُّيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1403هـ/1983م.
7. أصول النَّحو العربي في نظر النُّحَاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللُّغة الحديث، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 1982م.
8. الأصول في النَّحو، ابن السرَّاج، تح: عبد الحسين الفتلي، مطبعة النُّعمان، النَّجف الأشرف، (د ط)، 1973م.
9. الأعراب الرُّوَّاة، عبد الحميد الشَّلقاني، منشورات المنشأة العامَّة للنَّشر، ليبيا، ط 2، 1982م.
10. إعراب القرآن، ابن سيده، جامعة أمِّ القرى، ط 1، 1430هـ.
11. أمالي ابن الشَّجري، هبة الله بن علي بن محمَّد بن حمزة الحسني العلوي أبو سعادات بن الشَّجري، تح: الطَّنَّاحي محمود محمَّد، مكتبة الخانجي، ط 1، 1413هـ/1992م.

12. أنباء الرُّوَّاة، جمال الدِّين يوسف القفطي، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1403هـ/1986م.
13. الإنصاف في مسائل الخلاف، كمال الدِّين أبو البركات عبد الرَّحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباري، قدَّم له ووضع هوامشه: حسن محمَّد بإشراف إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، (د ط)، (د ت).
14. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تح: محي الدِّين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت/لبنان، (د ط)، (د ت).
15. الإيضاح في شرح المفصَّل، عثمان بن الحاجب أبو عمرو، تح: موسى بنَّاي العليلي، وزارة الأوقاف، العراق، (د ط)، 1402هـ/1982م.
16. البداية والنِّهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، ط 7، 1408هـ/1988م.
17. البسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي، أبو الرَّبيع، تح: عيَّاد الثّبيتي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1986م.
18. بغية الوعَاة، جلال الدِّين السُّيوطي، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، (د ط)، (د ت).
19. البيان والتَّبيين، أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1998م.
20. تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، تح: مجموعة من المحقِّقين، دار البداية، (د ط)، (د ت).
21. تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 1، 1960م/1995م.
22. التَّاريخ الكبير، البخاري، أشرف عليه الدُّكتور محمد عبد المجيد خان، طبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد/الدَّكن، (د ط)، (د ت).

23. تاريخ النَّحو في المشرق والمغرب، محمد مختار ولد أباه، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 1429هـ/2008م.

24. التِّبيان في إعراب القرآن، العكبري، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركائه، (د ط)، (د ت).

25. التَّصريح بمضمون التَّوضيح، خالد الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 1421هـ/2000م.

26. التَّعريفات، الشَّريف الجرجاني، تح: محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط)، (د ت).

27. التَّعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي، تح: عوض بن محمد القوزي، جامعة الملك سعود/الرِّياض، ط 1، 1991م.

28. تهذيب الأسماء واللُّغات، النَّووي، تعليق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطِّباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، (د ط)، (د ت).

29. التَّوابع في النَّحو العربي، محمد سليمان ياقوت، مكتبة لسان العرب، جامعة طنطا، مصر، ط 1، 2006م.

30. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، تح: عبد الرَّحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط 1، 1428هـ.

31. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثَّعالبي، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1965م.

32. جامع الدُّروس العربية، مصطفى الغلاييني، راجعه: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية للطِّباعة والنَّشر، بيروت/لبنان، ط 30، 1414هـ/1994م.

33. الجامع لأحكام القرآن والمبيَّن لما تضمَّنه من السنَّة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله بن المحسن التُّركي، مؤسَّسة الرِّسالة، ط 1، 1418هـ/1998م.

34. الجمل في النَّحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: فخر الدِّين قباوة، مؤسَّسة الرِّسالة، ط 1، 1405هـ/1985م.

35. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بن أبي الخطَّاب القرشي، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، مصر، (د ط)، (د ت).

36. جمهرة اللُّغة، الحسن بن دريد، تح: رمزي منير بلعبكي، دار المعارف، بيروت، ط 1، 1987م.

37. الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، عبد العال سالم مكرم، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط 2، 1413هـ/1979م.

38. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت/لبنان، (د ط)، 1416هـ.

39. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنِّي، تح: محمد علي النَّجَّار، دار الكتب المصرية، مصر، (د ط)، (د ت).

40. الخلاف النَّحوي في المنصوبات، منصور صالح محمد الوليدي، عالم الكتب الحديث للنَّشر والتَّوزيع، ط 1، 2006م.

41. الخلاف بين النَّحويين (دراسة-تحليل-تقويم)، السَّيِّد رزق الطَّويل، الفصيلة، جامعة أمُّ القرى/مكَّة المكرَّمة، ط 1، 1405هـ/1984م.

42. ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت).

43. ديوان النَّابغة الذُّبياني، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2، (د ت).

44. ديوان ذي الرمَّة، أحمد حسن سبِّيح، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 1415هـ/1995م.

45. ديوان طرفة بن العبد، الوائلي، تح: مهدي محمد ناصر الدِّين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1423هـ.

46. الرَّدُّ على النُّحَاة، ابن مضاء القرطبي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 2، (د ت).

47. الرَّوض الأنف، السُّهيلي، تح: عمر عبد السَّلام السَّلَّامي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط 1، 1421هـ،

48. سيبويه إمام النُّحَاة، ناصف علي النَّجدي، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1399هـ/1979م.

49. سير أعلام النُّبلاء، شمس الدِّين محمد الذَّهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة، (د ط)، (د ت).

50. الشَّافي في العروض والقوافي، هاشم صلاح منَّاع، دار الفكر العربي، بيروت/لبنان، (د ط)، 2003م.

51. شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، ابن عماد الحنبلي، تح: محمود الأرنأوطي، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1986م.

52. شرح أبيات المغني اللَّبيب، البغدادي، تح: عبد العزيز ربَّاح/أحمد يوسف دقَّاق، دار المأمون للتُّراث، بيروت، ط 1، 1393هـ/1441هـ.

53. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419هـ.

54. شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب، الرَّضي، تح: حسين بن محمد الحفظي، نشر إدارة الثَّقافة والنَّشر، جامعة الإمام ابن سعود/المملكة العربية السّعودية، (د ط)، (د ت).
55. شرح اللُّمع في النَّحو لابن جنِّي، أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي الأصبهاني، تح: محمد خليل العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007م.
56. شرح المعلَّقات التِّسع، الشَّيباني، تح: عبد المجيد همّو، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ط 1، 1422هـ.
57. شرح المفصَّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتَّخمير، الخوارزمي القاسم بن الحسين، دار المغرب الإسلامي، ط 1، 1990م.
58. شرح المفصَّل، ابن يعيش، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422هـ.
59. شرح المكودي على الألفية في علمي الصَّرف والنَّحو، عبد الرَّحمن بن علي بن صالح المكودي، تح: عبد الحميد هنداوي، الدَّار النَّموذجية، بيروت، (د ط)، 1425هـ/2005م.
60. شرح شواهد المغني، السُّيوطي، مكتبة الحياة، بيروت، (د ط)، (د ت).
61. شعر الخليل بن أحمد، صنعة حاتم الضَّامن، مطبعة المعارف، بغداد، (د ط)، 1393هـ/1973م.
62. الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، ط 4، 1990م.
63. الصَّرف، حاتم الضَّامن، كلِّية الدِّراسات الإسلامية والعربية، دبي.
64. طبقات النَّحويين واللُّغويين، أبو بكر الزَّبيدي الأندلسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط 2، 1973م.

65. طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحي، تح: محمود شاكر، دار المدني، جدَّة، (د ط)، (د ت).

66. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المختومي وإبراهيم السَّامرَّائي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 2003م.

67. غاية النِّهاية في طبقات القرَّاء، ابن الجزري، تح: براجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، (د ط)، 2006م.

68. الفهرست، ابن النَّديم، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، 1997م.

69. القواعد النَّحوية مادَّتها وطريقتها، عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 2، 1952م.

70. الكتاب، سيبويه، تح: عبد السَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408هـ/1988م.

71. كفاية المستكفي من الفنِّ الصَّرفي، محمد الدُّمياطي الشَّافعي، مطبعة بولاق الأميرية، ط 1، 1311هـ.

72. الكلِّيات معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش وآخرون، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت/لبنان، ط 2، 1019هـ/1998م.

73. اللُّباب في علل البناء والإعراب، العكبري، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط 1، (د ت).

74. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت).

75. مجالس العلماء، الزجَّاجي، تح: عبد السَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1999م.

76. المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تح: الرحالة الفاروق/عبد الله بن إبراهيم الأنصاري/السَّيِّد عبد العال السَّيِّد إبراهيم/محمد الشَّافعي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1413هـ.

77. المخصَّص، ابن سيده، تح: خليل إبراهيم جفَّال، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط 1، 1417هـ.

78. المدارس النَّحوية أسطورة وواقع، إبراهيم عبُّود السَّامرَّائي، دار الفكر، عمَّان، ط 1، 1981م.

79. المدارس النَّحوية، إبراهيم عبُّود السَّامرَّائي، دار المسيرة للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، عمَّان، ط 1، 1427هـ/2007م.

80. المدارس النَّحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 7، (د ت).

81. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنَّحو، مهدي المخزومي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مصر، ط 2، 1377هـ/1908م.

82. مراتب النَّحويين، أبو الطيِّب عبد الواحد الحلبي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النَّهضة العربية، القاهرة، ط 2، 1974م.

83. مراحل تطوُّر الدَّرس النَّحوي، عبد الله الخثران، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ط)، 1413هـ/1993م.

84. المزهر في علوم اللُّغة، السُّيوطي، تح: علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 1418هـ.

85. المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدِّين بن عقيل، تح: محمد كامل بركات، جامعة أمِّ القرى، ط 1، 1407هـ/1982م.

86. المسائل البصريات، عبد الغفَّار الفارسي أبو علي، تح: محمد الشَّاطر، مطبعة المدني، ط 1، 1405هـ/1985.

87. المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير للرَّافعي، أحمد بن محمد بن علي الفيُّومي، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، بيروت، ط 2، (د ت).

88. المعاجم العربية موضوعات وألفاظا، فوزي يوسف الهابط، الولاء للنَّشر، القاهرة، ط 1، 1996م.

89. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم الزَّجَّاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1988م.

90. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عبَّاس، دار العرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1993م.

91. المغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمال الدِّين بن هشام، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط 6، 1985م.

92. مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط 4، 1430هـ/2009م.

93. المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية، الشَّاطبي، تح: عبد الرَّحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، جامعة أمُّ القرى، ط 1، 1428هـ/2007م.

94. مقاييس اللُّغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السَّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت).

95. المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تح: بحر المرجان، دار الرَّشيد للنَّشر، بغداد/العراق، ط 1، 1982م.

96. المقتضب، المبرِّد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د ط)، (د ت).

97. المقرب لابن عصفور الإشبيلي، صلاح سعيد المليطي، دار الآفاق العربية، القاهرة/مصر، ط 1، 1427هـ/2006م.

98. النَّحو الوافي، عبَّاس حسن، دار المعارف، مصر، ط 3، (د ت).
99. نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحَّاة، محمد الطَّنطاوي، دار المنار، مصر، ط 2، 1412هـ/1991.
100. النَّكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشَّنتمري، تح: رشيد بن حبيب، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط 1، (د ت).
101. نهاية الأرب في فنون الأدب، النّويري، تح: مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط 1، 1424هـ/2004م.
102. النِّهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجزري، تح :طاهر أحمد الزّاوي/محمود محمد الطنَّاحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د ط)، 1399هـ.
103. هداية الطَّالب في علم الصَّرف، أحمد مصطفى المراغي.
104. همع الهوامع في شرح الجوامع، جلال الدِّين السُّيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة الوقفية، مصر، (د ط)، (د ت).
105. وفيات الأعيان، أبو العبَّاس شهاب الدِّين بن خلِّكان، تح: إحسان عبَّاس، دار صادر، لبنان، (د ط)، (د ت).
106. يونس البصري، أحمد مكِّي الأنصاري، مطبوعات جامعة القاهرة/مصر، (د ط)، (د ت).
107. يونس بن حبيب، حسين نصَّار، مكتبة الثَّقافة الدِّينية، ط 1، 2002م.

ثانيا/ المذكِّرات والرَّسائل الجامعية:

1. شرح الجزولية للأبذي من باب التَّنازع في أسماء القبائل والأحياء والسُّور إلى نهاية مباحث علم الصَّرف، إعداد: حسن بن نفاع بن نويفع الجابري الحربي، إشراف: سعد بن حمدان الغامدي، رسالة ماجيستير، تخصُّص: لغة ونحو وصرف، جامعة أمِّ

القرى/المملكة العربية السُّعودية، كلِّية اللُّغة العربية، قسم الدِّراسات العليا العربية، 1423هـ/1424هـ.

2. شرح تحفة الطلَّاب لأحمد بن محمَّد الهائم، إعداد: أحمد شيخ عبد اللَّطيف عثمان، إشراف: السَّيِّد حسن حامد البهوتي وحسن موسى الشَّاعر، أطروحة دكتوراه، تخصُّص: لغة، جامعة أمِّ القرى/المملكة العربية السُّعودية، كلِّية اللُّغة العربية، قسم اللُّغة، 1414هـ/ 1993م.
3. شرح كتاب سيبويه لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني، إعداد: سيف بن عبد الرَّحمن بن ناصر العريفي، إشراف: تركي بن سهو العتيبي، أطروحة دكتوراه، تخصُّص: نحو وصرف وفقه اللُّغة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية/المملكة العربية السُّعودية، كلِّية اللُّغة العربية، قسم النَّحو والصَّرف وفقه اللُّغة، 1418 هـ/1998م.
4. النَّحو والصَّرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم، إعداد: محمَّد آدم الزَّاكي، إشراف: أحمد مكِّي الأنصاري، أطروحة دكتوراه، تخصُّص: لغة عربية، جامعة أمِّ القرى/المملكة العربية السُّعودية، كلِّية اللُّغة العربية، قسم الدِّراسات العليا، 1404هـ/1984م.

ثالثا/ المجلَّات العلمية:

1. شرح الإعراب في قواعد الإعراب للكافيجي دراسة نحوية، وعد محمَّد سعيد العاني، مجلَّة جامعة الأنبار للُّغات والآداب، كلِّية التَّربية للعلوم الإنسانية، العدد 23، 2017م.
2. ما انفرد به يونس بن حبيب في النَّحو، الجيلالي بوعافية، مجلَّة الإشعاع، العدد 9، جامعة تلمسان/الجزائر، ديسمبر 2017م.
3. المسألة الزَّنبورية دراسة مقارنة، أحمد صالح حميد، مجلَّة كلِّية العلوم الإسلامية، العدد (2/16)، 1435هـ/2014م.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصَّفحة
البسملة	--------
إهداء	--------
شكر وتقدير	--------
مقدِّمة	أ – هـ
المدخل: ترجمة الخليل بن أحمد الفراهيدي وَ يونس بن حبيب	
تمهيد	2
1/ الخليل بن أحمد الفراهيدي	3
أ/ اسمه ونسبه	3
ب/ مولده ونشأته	3
ج/ أخلاقه وصفاته	3
د/ عبقريته العلمية	4
هـ/ آثاره العلمية	4
و/ ثناء العلماء عليه	5
ز/ شيوخه	7
ح/ تلامذته	7
ط/ وفاته	8
2/ يونس بن حبيب	8
أ/ اسمه وكنيته ونسبه	8
ب/ مولده ومؤلَّفاته	9
ج/ نشأته	11

د/ أخلاقه ومذهبه	12
ج/ علمه وثقافته	13
د/ شيوخه	15
هـ/ حلقة يونس بن حبيب العلمية	19
و/ تلامذته	20
ز/ مؤلَّفاته	22
هـ/ منهجه بين السَّماع والقياس	22
الفصل الأوَّل: الخلاف النَّحوي، جذوره وآثاره على الدَّرس النَّحوي	
تمهيد	25
أوَّلا/ الخلاف النَّحوي (ماهيته ونشأته)	25
1/ ماهية الخلاف النَّحوي	25
2/ الفرق بين الخلاف والاختلاف	28
3/ نشأة الخلاف النَّحوي	29
ثانيا/ أسباب ظهور الخلاف النَّحوي	37
1/ المادَّة اللُّغوية واختلاف اللَّهجات	37
2/ الاختلاف المنهجي	38
3/ العامل الزَّمني	39
4/ الاجتهاد	39
5/ التَّنافس بين العلماء	39
6/ اختلاف المصادر التي اعتمدوا عليها	40
ثالثا/ مظاهر الخلاف النَّحوي	40

1/ المناظرات	40
2/ المجالس	44
3/ أثر هذه المناظرات والمجالس على الدَّرس النَّحوي	46
4/ كتب الخلاف النَّحوي	46
رابعا/ آثار الخلاف النَّحوي ونتائجه	47
1/ الآثار الإيجابية للدَّرس النَّحوي	48
أ/ دور المناظرات والمجالس	48
ب/ تأثير الخلاف في مسيرة الدِّراسات النَّحوية	48
ج/ مؤلَّفات نحوية جديدة	51
د/ التَّنقية النَّحوية أو اللُّغوية	51
هـ/ اكتمال النَّحو والصَّرف	52
2/ الآثار السَّلبية للخلاف	52
أ/ طغيان المنطق والفلسفة على الدِّراسات النَّحوية وإصابتها بالجمود	52
ب/ تغلُّب نزعة القياس وتحوُّل الدِّراسات اللُّغوية النَّحوية إلى صناعة	53
ج/ تغيير الرِّوايات وكثرتها	55
د/ اضطراب الآراء وعدم الوقوف على الحقيقة	56
تقويم عام	57
الفصل الثَّاني: الاختلافات النَّحوية بين الخليل ويونس في كتاب سيبويه	
تمهيد	60
1/ مسألة العطف ب (أو)	60
2/ مسألة (وحده) حال أم ظرف	65

3/ مسألة تأويل (أيُّ)	72
4/ مسألة إلحاق صفة الألف في النُّدبة	78
5/ مسألة النَّصب بعد (لا) النَّافية الدَّاخلة عليها همزة استفهام	84
6/ مسألة مررتُ به المسكين	88
تقويم عام	92
الفصل الثَّالث: الاختلافات الصَّرفية بين الخليل ويونس في كتاب سيبويه	
تمهيد	94
1/ مسألة الوقف على الاسم المنقوص في النِّداء	94
2/ مسألة النُّون المؤَكَّدة الخفيفة في الوقف	100
3/ مسألة المنقوص الممنوع من الصَّرف لصيغ منتهى الجموع	108
4/ مسألة (لبَّيك) بعد الإفراد والتَّثنية	116
تقويم عام	122
الخاتمة	125
قائمة المصادر والمراجع	129
فهرس المحتويات	141

الملخَّص:

يسعى هذا البحث لدراسة المسائل الخلافية في النَّحو والصَّرف، والتي كانت بين قطبين من أهمِّ أقطاب النَّحو العربي؛ وهما "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وَ "يونس بن حبيب"، وذلك من خلال كتاب "سيبويه"، محاولة بذلك إظهار بعض آثار هذا الخلاف النَّحوي على الدَّرس النَّحوي.

الكلمات المفتاحية: مسائل خِلافية – الخليل بن أحمد – يونس بن حبيب – كتاب سيبويه.

Résumé:

Cette recherche vise à étudier les problèmes controversés de grammaire et de morphologie entre deux grands scientifiques que sont El Khalil Ben Ahmed et Younes Ben Habib, à travers le livre de sibawyh .Nous avons essayé de montrer certains effets de ce désaccords sur la leçon de grammaire.

Mots clés: Questions controversées- El Khalil ben Ahmed - Younes Ben Habib - Livre de Sibawayh.

Abstract:

The present research aims to study the grammatical and morphological controversial issues between two great scientists specialised in the field of Arabic literature which are El-khalil bin Ahmed and Younis al-Dabi,in the book of Sibawayh, we tried to make theses kind of issues revealed this in this study in orther to get the adequated solutions.

Key words: Controversial issues - El Khalil Ben Ahmed - Yones Ben habib -Sibawayh book